السنة النبوية

وحي من اللّه عزّ وجلّ

إعداد الدكتور

محمد الماس خير اللّه يعقوبي

الأستاذ المساعد بجامعة أم القرى

كلية المجتمع – قسم العلوم الإنسانية

بسم الله الرحمن الرحيم

(السنة النبوية وحي من الله عز وجل)

المقدمة

أ- **السنة لغة**: تعني الطريقة، والسيرة المعتادة للإنسان، سواء كانت حسنة أو قبيحة، وقال صاحب اللسان [(١)]: ((السنة في الأصل سنة الطريق. وهو طريق سنه أوائل الناس فصار مسلكا لمن بعدهم)).

إذاً فالسنة في اللغة: الطريقة محمودة كانت أو مذمومة، ومنه قوله ﷺ: ﴿ من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ﴾ [(٢)].

ومنه حديث ﴿ لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع ﴾ [(٣)]

ب- **واصطلاحا** عرفها المحدثون بقولهم: ما أثر عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خلقية أو خلقية، أو سيرة سواء أكان ذلك قبل البعثة كتحنثه في غار حراء أو ما بعدها. والسنة بهذا المعنى مرادفة للحديث النبوي. [(٤)].

---

(١) لسان العرب ج ٣ ص ٢١٢٤

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه جـ ٤ ص ٢٠٥٩ رقم (١٠١٧) كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة.

(٣) أخرجه البخاري رقم (٣٤٥٦) فتح الباري ج ٦ ص ٤٩٥ كتاب الأنبياء، باب ذكر بني إسرائيل. ومسلم ج ٤ ص ٢٠٥٤ رقم (٢٦٦٩) كتاب العلم، باب إتباع سنن اليهود والنصارى.

(٤) السنة قبل التدوين ص ١٦. طبعة دار الفكر، الطبعة الخامسة ١٤٠١ هـ – ١٩٨١

أما القول: فهو أحاديثه صلى الله عليه وسلم التي قالها في مختلف الأغراض والمناسبات، فترتب على ذلك حكم شرعي، كقوله ﷺ: ﴿ لا وصية لوارث ﴾ [(١)]، وقوله ﴿ لا ضرر ولا ضرار ﴾ [(٢)] وقوله: ﴿ هو الطهور ماؤه الحل ميتته ﴾ [(٣)].

وأما الفعل: فهو أفعاله التي نقلها إلينا الصحابة، مثل: أدائه الصلوات الخمس بهيئاتها وأركانها، وأدائه ﷺ مناسك الحج، وقضائه بالشاهد واليمين [(٤)]، وما إلى ذلك.

وأما التقرير: فكل ما أقره الرسول عليه السلام، مما صدر عن بعض من أصحابه من أقوال وأفعال، بسكوت منه وعدم إنكار، أو بموافقته وإظهار استحسانه وتأييده، فيعتبر ما صدر عنهم بهذا الإقرار والموافقة عليه صادراً عن الرسول عليه السلام. ومن ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، أنه خرج رجلان في سفر وليس معهما ماء، فحضرت الصلاة فتيمما.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٢٧٤٧ و ٤٥٧٨ و ٦٧٢٩) فتح الباري ج ٥ ص ٣٧٢ كتاب الوصايا، باب لا وصية لوارث. وقال ابن الأثير: وقال رسول الله ﷺ: ((ولا وصية لوارث)) فبطلت الوصية للوالدين.
جامع الأصول في أحاديث الرسول ج ٩ ص ٦٢٢ رقم (٧٤١٧).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ ج ٢ ص ٧٤٥ كتاب الأقضية، باب القضاء في المرفق. وهو حديث مرسل، قال الإمام النووي في ((الأربعين)) وله طرق يقوي بعضها بعضاً، أنظر سبل السلام ج ٣ ص ٨٤.

(٣) أنظر سبل السلام ج ١ ص ١٤، وقد أخرجه الأربعة، وأبو بكر بن أبي شيبة.

(٤) ثبت قضاء الرسول ﷺ بشاهد ويمين، أنظر مسند الإمام أحمد: الأحاديث رقم (٢٢٢٤ و٢٨٨٨ و ٢٩٦٩ و ٢٩٧٠) وسبل السلام جـ ٤ ص ١٣١.

صعيداً طيباً، فصليا ثم وجدا الماء في الوقت، فأعاد أحدهما الصلاة والوضوء، ولم يعد الآخر، ثم أتيا رسول الله ﷺ فذكرا ذلك له، فقال للذي لم يعد: ﴿ أصبت السنة ﴾ وقال للآخر: ﴿ لك الأجر مرتين ﴾ (١)

الدليل على أن السنة وحي:

روى الإمام البخاري في صحيحه (٢) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: ﴿ ما من نبي من الأنبياء إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنّما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلىّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة ﴾

قال بن الأثير(٣)

قوله: ((آمن عليه البشر)) : أي آمنوا عند معاينة ما آتاه الله من الآيات والمعجزات والدلائل الواضحات، أراد إعجاز القرآن الذي خصَصَ به رسول الله ﷺ، وإن كان كل نبي من الأنبياء قد أوتي من المعجزات ما يوجب على البشر الإيمان به.

وقوله: ((وحيا أوحاه الله)) ولكنه أراد بالوحي: القرآن فإنه ليس شيء من كتب الله المنزلة، كان معجزا إلا القرآن،

فالرسول ﷺ يبين في هذا الحديث أن معجزته الكبرى هي الوحي،

---

(١) أنظر سبل السلام ج ١ ص ٩٧، ورواه أبو داوود، والنسائي.
والسنة قبل التدوين ص ١٧، وفتح الباري ج ٧ ص ٤١٢، طبعة مصطفي ألبابي الحلبي

(٢) رواه البخاري رقم (٧٢٧٤) فتح الباري ج ١٣ ص ٢٤٧ كتاب الاعتصام. باب رقم (١)، ومسلم رقم (١٥٢)، وهو في شرح السنة ج ١٣ ص ١٩٥ رقم (٣٦١٥).

(٣) جامع الأصول في أحاديث الرسول ج ٨ ص ٥٣٣ رقم (٦٣٣٣).

(٤) فتح الباري ١٤٨/١٣.

والوحي لا ينصرف في القرآن الكريم الذي هو ((أعظم المعجزات وأفيدها وأدومها لاشتماله على الدعوة والحجة ودوام الانتفاع به إلى آخر الدهر [1])).

وإنما يدخل ضمنه بيان القرآن وشرحه الذي أجراه الله على لسان نبيه في سنته المطهرة وقد وردت آيات كثيرة تثبت هذا المعنى من ذلك:

١- **قال تعالى:** ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ (القيامة ١٦-١٩)

أي لا تحرك بالقرآن لسانك حين الوحي لتعجل بقراءته وحفظه، إن علينا جمعه في صدرك، وإثبات قراءته في لسانك، فإذا قرأه عليك رسولنا فاتبع قراءته منصتاً لها، ثم إن علينا بعد ذلك لك بيانه إذا أشكل عليك شئ منه.

فالله يطمئن رسوله ﷺ في هذه الآيات ويعده – ووعده الحق – بأنّه سيجمع القرآن في صدره فيحفظه دون أن ينفلت منه شيء ويردّده متى شاء بكلّ يسر وسيعلّمه قراءته كما نزل، وقطع سبحانه بأنه المتكفّل ببيانه،

ويفسّر ابن عباس قوله تعالى (ثم إن علينا بيانه) بقوله: " علينا أن نبيّنه بلسانك " وفي رواية: " على لسانك " [2].

وعبارة "بيانه" في قوله تعالى: (إن علينا بيانه) جنس مضاف، فيعمّ جميع أصناف البيان المتعلّقة بالقرآن الكريم من إظهاره وتبيين أحكامه وما يتعلّق بها من تخصيص وتقييد ونسخ وغير ذلك [3]. ونظراً إلى أنّ السنة هي التي بيّنت الغامض وفصّلت المجمل ووضّحت المشكل وفسّرت المبهم وقيّدت

(١) فتح الباري ج ٨ ص ٦٨١ و ٦٨٢ ح رقم (٤٩٢٨ و ٤٩٢٩).

(٢) فتح الباري ٨/٦٨٢.

المطلق وخصّصت العام وحدّدت المنسوخ فهي المراد بقوله تعالى: (إن علينا بيانه) فهي وحي من الله تعالى.

٢- وكذلك قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (آل عمران ١٦٤)

أي لقد تفضل الله على المؤمنين الأولين الذين صحبوا النبي بأن يبعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آيات الكتاب، ويطهرهم من سوء العقيدة، ويعلمهم علم القرآن والسنة، وقد كانوا من قبل بعثه في جهالة وحيرة وضياع.

(يتلوا عليهم آياته) أي القرآن بعد ما كانوا جهالاً لم يسمعوا الوحي، (ويزكيهم) أي يطهرهم من دنس الطباع، وسوء العقائد والأعمال، وأو ضار الأوزار (ويعلمهم الكتاب والحكمة) أي القرآن والسنة (وإن كانوا من قبل) أي من قبل بعثته ﷺ، وتزكيته وتعليمه (لفي ضلال مبين) بين لا ريب في أنهم كانوا في ضلال وأعلم أن الله أرسل محمداً إلى أقوام عتاة أشرار، فذلل منهم كل من عتا وتجبر، ونكس بمولده الأصنام، وانشق إيوان كسرى، وخمدت نار فارس، وأختاره مولاه وقدمه على الخلق، فهو بمنزلة العين من الرأس، فهو رحمة عامة للأنام، وله خطر جليل عند الخواص والعوام ولما خطب أبو طالب في تزويجه خديجة رضي الله عنها، وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر قال: (الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وعنصر مضر، وجعلنا حصنة بيته، وخدام حرمه، وجعل لنا بيتاً معظماً، وحرماً آمناً، وجعلنا الحكام

على الناس، ثم إن ابن أخي هذا((محمد بن عبد الله)) لا يوزن به فتى من قريش إلا رجح به، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل [1].

والحكمة وردت في القرآن الكريم مقرونة بالكتاب في مواطن عديدة، وممن بسط القول في شرحها وعلى أنّها السنة المطهرة الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله فقال في رسالته: " سمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنّة رسول الله ﷺ وهذا يشبه ما قال والله أعلم ". ويعلل ذلك بقوله: " لأنّ القرآن ذكر وأتبعه الحكمة، وذكر الله مَنَّه على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة فلم يجُز – والله أعلم – أن يقال: الحكمة ها هنا إلا سنّة رسول الله ﷺ " [2]. ويبسط الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله القول في دليل الشافعي فيقول:

١– إن الله عطف الحكمة على الكتاب، وذلك يقتضي المغايرة، ولا يصحّ أن تكون غير السنة.

٢– لأنّ الله ذكرها في معرض المنّة على المؤمنين، ولا يمنّ الله إلا بما هو حقّ وصواب.

٣– وبما أن القرآن واجب الإتباع فالمعطوف عليه وهو الحكمة واجبة الإتباع.

٤– وبما أنّ الله لم يوجب علينا إلا إتباع الكتاب والسنة، فتعيّن أن تكون السنة هي ما صدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أقوال

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج ٣ ص ٤٠٩– ٤١٠، تفسير الفخر الرازي ج ٩ ص ٧٩، الأساس في التفسير ج ٢ ص٩١٣.تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ج ١ ص ٢٩١ – ٢٩٢.تفسير المنار ج ٤ ص ٢٢١ – ٢٢٤.

(٢) الرسالة للإمام الشافعي ص ٨٦

وأحكام في معرض التشريع[1].

فهذا دليل قرآني على أنّ السنّة وحي أنزلها الله على قلب رسوله كما أنزل القرآن:

قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ (النساء ١١٣)

٣- ومن الأدلة القرآنية على أنّ السنة وحي قوله تعالى:

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (النحل ٠٤٤) أي وقد أيدنا هؤلاء الرسل بالمعجزات والدلائل البينة لصدقهم، وأنزلنا عليهم الكتاب تبين لهم شرعهم الذي فيه مصلحتهم، وأنزلنا إليك – أيها النبي – القرآن لتبين للناس ما اشتمل عليه من العقائد والأحكام، وتدعوهم إلى التَّدبر فيه، رجاء أن يتدبروا فيتعظوا ويستقيم أمرهم.

قال العلامة ابن عطية: وقوله (لتبين) يحتمل أن يريد: لتبين بسردك نص القرآن ما نزل ويحتمل أن يريد: لتبين بتفسيرك المجمل وبشرحك ما أشكل مما نزل، فيدخل في هذا ما تبينه السنة من أمر الشريعة، وهذا قول مجاهد[2].

وقال العلامة الآلوسي في تفسيره [3]: (لتبين للناس ما نزل إليهم) المراد به إيقافهم على حسب استعداداتهم المتفاوتة على ما خفي عليهم من أسرار القرآن وعلومه التي لا تكاد تحصى، ولا يختص ذلك بتبيين الحرام والحلال

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص ٥١.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج ٨ ص ٤٢٥.

(٣) ج ١٤ ص ١٥٠.

وأحوال القرون الخالية والأمم الماضية، وأستأنس له بما أخرجه الحاكم [1] وصححه عن حذيفة: قال (قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً أخبرنا فيه بما يكون إلى يوم القيامة عقله منا من عقله، ونسيه من نسيه) وهذا في معني ما ذكره غير واحد أن التبيين أعم من التصريح بالمقصود ومن الإرشاد إلى ما يدل عليه، ويدخل فيه القياس وإشارة النص ودلالته وما يستنبط منه من العقائد والحقائق والأسرار الإلهية، ولعل قوله عز وجل: (ولعلهم يتفكرون) إشارة إلى ذلك أي وطلب أن يتأملوا فينتبهوا للحقائق وما فيه من العبر ويحترز عما يؤدي إلى ما أصاب الأولين من العذاب، إهـ.

وإن شرح الذكر الوارد في قوله تعالى: (أء أنزل عليه الذكر من بيننا) ص: ٨، بالقرآن، فإنه في آيتنا هذه يعني السنة لأن الذكر الذي أنزله الله على قلب الرسول ﷺ إنما انزله عليه ليبين به للناس ما نزل إليهم من كتاب الله، وبيان الرسول إنما هو من سنته ﷺ.

ويشرح ابن حزم عبارة "الذكر" الواردة في الآية بالوحي فيقول: "ولا خلاف بين أحدٍ من أهل اللغة والشريعة في أنّ كل وحي نزل من عند الله فهو ذكر منزّل" وردّ على من زعم أنّ المراد بالذكر في الآية "القرآن وحده" بقوله: "هذه دعوى مجرّدة عن البرهان، وتخصيص للذكر بلا دليل والذكر اسم واقع على كلّ ما أنزل الله على نبيه ﷺ من قرآن وسنة"[2].

٤- ومن الأدلة القرآنية على أنّ السنة وحي قوله تعالى:

(١) المستدرك ج ٤ ص ٤٧٢، ووافقه الذهبي في تصحيحه..

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ١٥٧.

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥ ﴾ (النساء ١٠٥) أي أنزلنا إليك القرآن حقاً وصدقاً، مشتملاً على كل ما هو حق مبيناً للحق إلى يوم القيامة ليكون منارك في الحكم بين الناس، فأحكم بينهم ولا تكن مدافعاً عن الخائنين.

ذهب الداودي إلى أن عبارة "بما أراك الله" ليست محصورة في المنصوص وإنّما فيها إذن في القول بالرأي من قياس واجتهاد، خلافاً لما ذهب إليه الإمام البخاري من أنّ كل ما قاله النبي ﷺ وحكم به بين الناس إنّما صدر فيه عن الوحي، وقد ترجم لهذا المعنى في صحيحه بقوله: "... ولم يقل برأي ولا قياس لقوله تعالى: ﴿بما أراك الله﴾ (١).

وقد ترجم البخاري للباب كما يلي{باب ما كان النبي ﷺ يسأل مما لم ينزل عليه الوحي فيقول لاأدري أو لم يجب حتى ينزل عليه الوحي ولم يقل برأي ولا قياس، لقوله تعالى:(بما أراك الله) وقال ابن مسعود رضي الله عنه: سئل النبي ﷺ عن الروح فسكت حتى نزلت الآية}.

الدليل من السنّة النبويّة على أنّ السنّة وحي:

ذكر الإمام الشافعيّ " أنّ حجّة من قال: إنّ النبيّ ﷺ لم يسنّ شيئا إلا بأمر الله على وجهين:

– إمّا بوحي يتلى على الناس وهو القرآن الكريم.

– وإمّا برسالة عن الله أن افعل(٢)، ويريد الإمام بقوله: "رسالة عن الله"

(١) فتح الباري ج ١٣ ص ٢٩١ رقم (٧٣٠٩) – باب رقم (٨)كتاب الاعتصام.
وأنظر تفسير الفخر الرازي ج ١١ ص ١٢.

(٢) انظر فتح الباري ٢٩٣/١٣.

ما يقابل الوحي المتلوّ، وهو الوحي غير المتلوّ أي السنّة النبويّة.

وما قاله الإمام الشافعيّ جاء مصداقا لكثير من الأحاديث ووقائع السنّة منها:

١- **حديث المقدام بن معد يكرب** يرفعه: (ألا إنّي أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا الكتاب فما وجدتم فيه من حلال فأحلّوه وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه....) [(١)] وجاء في نهاية الحديث في رواية أخرى: (ألا وإنّ ما حرّم رسول الله كما حرّم الله) [(٢)]، وروى أبو داود في مراسيله عن مكحول الشاميّ قال: قال رسول الله ﷺ (آتاني الله القرآن ومن الحكمة مثليه).

وعبارة "**الكتاب**" الواردة في الحديث واضحة، يراد بها القرآن الكريم، وهو الوحي الظاهر الجليّ المتلوّ، وأمّا قوله: "**ومثله معه**" فذهب العلماء إلى أنّ المراد بها الوحي غير المتلوّ، وهو السنّة بكلّ ما تعنيه من بيان شامل للكتاب وتشريع مستقلّ عنه.

ومثليه السنّة للقرآن تتحقّق في أمرين: في النوع وفي الحكم:

– أمّا **النوع** فيعني أنّ كلاً من القرآن والسنّة وحي من الله، وأمّا **الحكم** فيعني وجوب العمل بهما جميعا[(٤)].

٢- ومن أوضح ما يثبت أنّ السنّة وحي ما أثر عن حسّان بن عطيّة أحد ثقات التابعين الشاميّين قوله: (كان جبريل ينزل على النبيّ ﷺ بالسنّة كما ينزل عليه بالقرآن)[(٣)] وفي رواية أضاف

(١) رواه أبو داوود في سننه حديث (٤٦٠٤)، ونحوه ابن ماجة حديث (١٢).والترمذي حديث (٢٦٦٤) وصححه.

(٢) الحديث والمحدّثون ص ١١.

(٣) انظر معالم السنن للخطابي ج٤ص٢٩٨.

(٤) فتح الباري ج ١٣ص ٢٩٣. – حديث (٧٣٠٩)، والدارمي في سننه حديث (٥٩٤).

قوله: (ويعلّمه إيّاها كما يعلّمه القرآن)[1]، ويؤيّد هذا ما رواه البخاريّ في صحيحه(٣) بسنده إلى عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال سمعت النبيّ بوادي العقيق يقول: (أتاني الليلة آت من ربّي فقال: صلّ في هذا الوادي المبارك، وقل عمرة في حجّة)[٤].
ومن هذا القبيل قوله: (إنّ الروح الأمين نفث في روعي أنّه لن تموت نفس حتّى تستوفي رزقها، فاتّقوا الله وأجملوا في الطلب)[٤].

فهذه الأحاديث صريحة في أنّ الرسول ﷺ يتلقّى السنّة من الله سواء كان ذلك بوحي جليّ بواسطة جبريل وفي حال اليقظة، مثل قوله عليه السلام (أتاني آت)، أو بوحي خفيّ أي بإلهام أو نفث في الروع أو بالرؤيا في المنام، مثل قوله ﷺ (إنّ الروح الأمين نفث في روعي)، وهي تصدّق قول التابعيّ الجليل حسّان بن عطيّة: (إنّ جبريل كان ينزل على النبيّ ﷺ بالسنّة كما ينزل عليه بالقرآن) وهي واضحة الدلالة على أن السنّة وحي من الله تعالى.

٣- وممّا يثبت أنّ السنّة وحي ما ذكره الإمام الشافعيّ من طريق طاوس "أنّ عنده كتابا في العقول نزل به الوحي" [٢]. وإذا علمنا أنّ الديّات ممّا حدّدته وفصّلت معالمه السنّة أدركنا أنّ كلّ ذلك وحي نزل على قلب

(١) تحفة الأشراف ج ١٣ ص ١٦١ الحديث(١٨٤٩٠).
(٢) الحديث رقم (٧٣٤٣،٢٢٣٧،١٥٣٤) فتح الباري ج٣ ص ٣٩٢ و ج ١٣ ص ٢٩٣ وحديث (٧٣٢٢).
(٣) محاضرات في علوم الحديث – مصطفى أمين التازي ج١ ص٩٩، ورواه ابن ماجة حديث (٢١٤٤) بنحوه بدون ذكر " إن الروح الأمين نفث في روعي "، رواه أبو نعيم في الحلية ج١٠ ص٢٧ من حديث أبي أمامه. وهو في جامع الأصول ج١٠ ص١١٧.
(4) أورده ابن حجر العسقلاني في فتح الباري جـ ١٣ صـ ١٩١.

الرسول وجرى به لسانه. وكذلك أنصبة الزكاة وبيان مقاديرها المخرّجة وأنواعها وأجناسها وتفصيلاتها المبسوطة في كتب الزكاة والصدقة، فهي وإن بدت من قول النبيّ ﷺ إلا أنها في الحقيقة أمر أمرالله به نبيّه عليه السلام. مصداق ذلك ما رواه البخاريّ [1] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أنّ أبا بكر كتب له هذا الكتاب لّما وجّهه إلى البحرين: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذه فريضة الصدقة التي فرض رسول الله ﷺ على المسلمين والتي أمر الله بها رسوله."

فقول أبي بكر رضي الله عنه: "هذه فريضة الصدقة التي فرض رسول الله ﷺ والتي أمر الله بها رسوله." يبيّن بما لا يدع مجالا للشكّ أنّ ما يتعلّق بركن الزكاة والصدقات إنّما هو وحي من الله عبّر عنه الرسول ﷺ ببيانه الآسر، ويقاس على الزكاة بقيّة الأركان، وغيرها ممّا تناولته السنة بالبيان.

٤- ومن الأدلّة التي ساقها العلماء على أنّ السنّة وحي كالقرآن **قصّة العسيف**[2]، فقد روى البخاريّ من حديث أبي هريرة وزيد بن خالد قالا: كنّا عند النبيّ ﷺ فقام رجل [..... وكان أعرابياً] فقال: أنشدك الله إلا ما قضيت بيننا بكتاب الله!!.فقام خصمه[وهو والد العسيف] وكان أفقه منه فقال: " اقض بيننا بكتاب الله وائذن لي، قال ((قل)) قال: إنّ ابني هذا كان عسيفاً

على هذا فزنى بامرأته، فافتديت منه بمائة شاة وخادم. ثمّ سألت

(١) الصحيح رقم (١٤٥٤) فتح الباري ج٣ ص٣١٧ كتاب الزكاة باب (٣٨)..

(٢) العسيف بمهملتين: الأجير وزناً ومعنىً، والجمع عسفاء كأجراء، ويطلق على الخادم وعلى العبد، وسمّي الأجير عسيفا لكون المستأجر يعسفه في العمل أي يجور عليه في العمل، أو لكون الأجير يعسف الأرض بالتردّد فيها. فتح الباري ج ١٢ ص ١٣٩ ح (٦٨٢٧).

رجالا من أهل العلم

فأخبروني أنّ على ابني جلد مائة وتغريب عام وعلى المرأة الرجم. فقال النبيّ ﷺ:

(والذي نفسي بيده لأقضينّ بينكما بكتاب الله جلّ ذكره، المائة شاة والخادم ردّ وعلى

ابنك جلد مائة وتغريب عام، واغد يا أنيس على امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها... الخ)[1].

والشاهد هنا هو قوله: ((لأقضينّ بينكما بكتاب الله)) وقضى بجلد البكر مائة وتغريب عام، وبرجم المحصنة، وكلّ من التغريب والرجم قضت بهما السنّة، ولم يرد لهما ذكر في الكتاب إلا أنّ النبيّ ﷺ عبّر عن هذين الحكمين اللذين تفرّدت بهما السنة "**بالكتاب**" وهذا دليل صريح على أنّ السنّة وحي كالكتاب، وعلى أنّ الكتاب أعمّ من القرآن، وأنّ المراد به "الشرع" سواء كان كتابا أو سنّة.

وقد شرح البيهقي عبارة "**الكتاب**" الواردة في قول الرسول ﷺ: (إنّي لا أحلّ إلا ما أحلّ الله في **كتابه**، ولا أحرّم إلا ما حرّم الله في **كتابه**) بالوحي سواء كان وحيا متلوّا وهو القرآن، أو غير متلوّ وهو السنّة النبويّة [2].

٥– ومن الأدلّة على أنّ السنّة وحي ما جاء على لسان معاذ بن جبل رضي الله عنه في حكم المرتدّ المغيّر لدينه المفارق للجماعة الذي قضت السنّة

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٨٢٧ و ٦٨٢٨) فتح الباري ج ١٢ ص ١٣٧ في الحدود – باب الاعتراف بالزنا (٣٠) – ومسلم حديث رقم (١٦٩٧)، وأبو داود رقم (٤٤٤٥)، والبغوي في شرح السنة ج١ ص ٢٧٤ رقم (٢٥٧٩).

(٢) راجع السنّة ومكانتها في التشريع الإسلاميّ ص ١٥٥.

بقتله[1] بعد استتابته حماية لأمن المجتمع المسلم، من أنّه قضاء الله ورسوله، أي أنّه حكم وإن صدر على لسان الرسول الأكرم ﷺ إلا أنّه في الحقيقة وحي أنزله الله على قلب نبيّه ﷺ.

روى البخاريّ بسنده إلى أبي موسى الأشعريّ أنّ معاذ بن جبل حين قدم عليه باليمن، وجد عنده رجلا موثوقا فقال: ما هذا؟ قال[أبو موسى]: كان يهوديّا فأسلم ثمّ تهوّد! : قال: اجلس! قال[معاذ]: لا أجلس حتّى يقتل، قضاء الله ورسوله ثلاث مرّات، فأمر به، فقتل[2].

ووصف معاذ رضي الله عنه قتل المرتدّ الذي قضى به الرسول بأنّه "قضاء الله ورسوله"، يدلّ على أنّه موحى به من الله تعالى.

٦- ومن الأدلّة الواضحة على أنّ السنّة وحي قول النبيّ ﷺ لعبد الله ابن عمرو بن العاص حين اشتكته قريش التي نهته عن كتابة الحديث بوصف النبيّ عليه السلام بشرا يتكلّم في الغضب والرضا: (اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه[وقد أومأ بأصبعه إلى فيه] إلا حقّ)[3]، لأنه يصدر –فيما يقول– عن الوحي الذي لا ينطق عن الهوى.

٧- ومن أوضح الأدلّة على أنّ سنّة النبيّ ﷺ وحي أنه عليه عليه السلام كثيراً ما يسأل عن الشيء الذي لم ينزل عليه فيه وحي، فيسكت أو يقول لا أدري حتّى يأتيه بيان ذلك بالوحي، وكثيرا ما تنزل به النوازل فلا يفتي حتّى يريه الله الجواب والفتوى، حتّى إنّ البخاريّ ترجم لهذا المعنى في جامعه الصحيح [4] بقوله: " باب ما كان النبيّ يسأل ممّا لم ينزل عليه الوحي فيقول: " لا أدري، أو لم يجب حتّى ينزل عليه

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٠١٧) و(٦٩٢٢) بلفظ: ((من بدل دينه فاقتلوه)).

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٩٢٣).

(٣) رواه الدار مي في سننه ج ١ ص ١٢٥ كتاب العلم. باب من رخّص في كتابة العلم والإمام أحمد في مسنده ج ٢ ص ١٦٢، ١٩٢، وهو في جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص ٧١.

(٤) فتح البخاري ج ١٣ ص ٢٩٠ رقم (٧٣٠٩).

الوحي، ولم يقل برأي ولا قياس، لقوله تعالى: "بما أراك الله":

أ – من ذلك سؤال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: "يا رسول الله! كيف أقضي في مالي؟ كيف أصنع في مالي؟"، قال جابر: "فما أجابني بشيء حتى نزلت آية الميراث"[1].

ب – وكذلك سؤال أحد المعتمرين –وكان يلبس جبّة وعليه أثر الخلوق– النبيّ ﷺ وهو بالجعرانة يا رسول الله! كيف ترى في رجل أحرم بعمرة وهو متضمّخ بطيب؟ فسكت النبيّ ﷺ ساعة، فجاءه الوحي... ثمّ سرّي عنه فقال: (أين الذي سأل عن العمرة ؟) فأتي بالرجل. فقال: (اغسل الطيب الذي بك ثلاث مرّات، وانزع عنك الجبّة، واصنع في عمرتك كما تصنع في حجّتك)[2].

ج – وقد يسأل عن قضايا غيبيّة ممّا استأثر الله بعلمها كالروح والساعة، فلا يجيب حتى ينزل عليه الوحي بالجواب:

– من ذلك ما رواه البخاريّ في صحيحه [3] من حديث عبد الله بن مسعود: "أنّ يهوديّا سأل الرسول ﷺ فقال: يا أبا القاسم ما الروح؟ فسكت. فقلت: إنّه يوحى إليه... فلمّا انجلى عنه، فقال: قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ (الإسراء ٠٨٥) وسأله جبريل عليه السلام عن الساعة؟ فقال عليه السلام: (ما المسئول عنها بأعلم من

(١) رواه البخاريّ في صحيحه رقم الحديث (٧٣٠٩) – فتح الباري ج ١٣ ص ٢٩٠

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم الحديث (١٥٣٦) و ((١٧٨٩) فتح الباري ج ٣ ص٣٩٣.

(٣) حديث (١٢٥) فتح الباري ج ١ ص ٢٢٣ كتاب العلم، باب قول الله تعالى: (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) الإسراء: ٨٥

السائل)، أي أنّه أخبره أن ليس عنده من ذلك علم[1]. كما سأله رجل عن الساعة فأجابهما بمثل جوابه جبريل عليه السلام[2].

د – وسئل النبيّ ﷺ عن الخمر؟ فقال: (لم ينزل عليّ فيها شيء إلا هذه الآية الجامعة الفاذّة: قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ (الزلزلة ٠٠٧-٠٠٨))[3]

ويشرح ابن التين الصفا قسي[ت٦١١هـ] المراد من الاستشهاد في هذا المقام بهذه الآية فيقول: "دلّت على أنّ من عمل في اقتناء الحمير طاعة، رأى ثواب ذلك، وإن عمل معصية رأى عقاب ذلك"[4].

فالرسول ﷺ متقيّد بالوحي وملتزم به يجيب ويفتي بما يريه الله، فلا يتعجّل جوابا مهما كانت المسألة خطيرة ومستعجلة، ومن أجلى الدلالات على صدق هذا القول "حادثة الإفك" التي نال المنافقون فيها من عرض النبيّ ﷺ وسرحوا ومرحوا دون أن يزعهم وازع، والرسول ﷺ لم يستطع أن ينهي افتراءاتهم وتخرّصاتهم حتّى نزل الوحي بعد شهر كامل ببراءة السيّدة الطاهرة البريئة المبرّأة عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها.

---

(١) الموافقات في أصول الشريعة ج ١ ص ٤٤

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٥٠) و (٤٧٧٧) وهو حديث طويل وفيه قصة.

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم الحديث (٤٩٦٣) و(٢٨٦٠).

فتح الباري ج ٨ ص ٧١٧ كتاب التفسير، باب رقم (٢)، و ج ٦ ص ٦٣ – ٦٥ كتاب الجهاد، باب رقم (٤٨).

(٤) فتح الباري ج ٦ ص ٧٥.والآية جامعة لشمولها جميع الأنواع من طاعة ومعصية. وفاذة لانفرادها في معناها

إخباره ﷺ عن الغيبيات وتحقّق وقوعها يدلّ على أن السنّة وحي.

وممّا يثبت أن السنّة وحي ما أخبر به عليه الصلاة والسلام من الغيبيات التي اختصّ الله بعلمها: **قال تعالى:** ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ (الأنعام ٥٩)

قال تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۛ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (هود ٤٩)

أي تلك القصة التي قصصناها عليك أيها النبي عن نوح وقومه، من أخبار الغيب التي لا يعلمها إلا الله، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك على هذا الوجه من الدقة والتفصيل من قبل هذا الوحي، فاصبر على إيذاء قومك كما صبر الأنبياء قبلك، فإن عاقبتك الفوز مثل عاقبتهم.

والعاقبة الطيبة دائماً للذين يتقون عذاب الله بالإيمان وعمل الصالحات وهي أخبار أمدّه بها الوحي فأفصح عنها بلسانه ﷺ وقد تحقّقت فكانت نبوءات صادقة صدق مصدرها وهو الله سبحانه.

١- سراقة يلبس سواري كسرى

من ذلك ما قاله لسراقة بن مالك بن جعشم المدلجيّ: (كأنّي بك ياسراقة تلبس سواري كسرى). فقال سراقة متعجّبا: كسرى بن هرمز!! قال: (نعم). وقد قال له هذا وهو مطارد في هجرته إلى المدينة يخاف الرصد ولا يكاد يأمن على نفسه غوائل المشركين.

وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يفتح الله على المسلمين بلاد فارس والمدائن ويؤتى بالغنائم إلى المدينة، وكان فيها سوارا كسرى وألبس عمر سراقة سواري كسرى، وتحقّقت نبوءة الرسول ﷺ[1]، لتكون علامة من علامات نبوّته، وآية من آيات صدقه، وأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

٢ – فتح بلاد كسرى وهرقل واليمن

ومن ذلك ما أخبر به عليه الصلاة والسلام في غزوة الأحزاب في شوّال من السنة ٥هـ أثناء كسره صخرة بيضاء صلدة، وهو يحفر مع المسلمين الخندق: (لقد أضاء الله لي قصور الحيرة ومدائن كسرى، فأخبرني جبريل أنّ أمّتي ظاهرة عليها.. وأضاء لي القصور الحمر من أرض الروم،فأخبرني جبريل أنّ أمّتي ظاهرة عليها.. وأضاء لي قصور صنعاء وأخبرني جبريل أنّ أمّتي ظهرة عليها).

والإخبار عن فتح الله جل وعلا كنوز آل كسرى على المسلمين روى بن حبان [2] بسنده عن جابر بن سمرة رضي الله عنه وأرضاه، حدث أنه سمع النبي ﷺ، يقول: (ليفتحن كنز آل كسرى الأبيض أو قال: في الأبيض عصابة من المسلمين) إهـ.

لقد أخبر النبيّ ﷺ بهذه الفتوح والمسلمون في حال من العسر والضيق والخوف، حيث تداعت عليهم الأحزاب المشركة من أقطار الجزيرة،

---

(١) انظر الإستيعاب رقم (٩١٦)، السيرة النبويّة في ضوء القرآن والسنّة ج ١ ص ٤٩٣-٤٩٤.

(٢) صحيح بن حبان ج ١٥ ص ٨١ حديث رقم (٦٦٨٧) وأنظر السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ج ١ ص ٤٩٣ – ٤٩٤.

وخذلهم المنافقون وتآمر عليهم اليهود فخانوا عهدهم ونقضوا مواثيقهم، وقد صوّر القرآن الكريم هذا الضيق وهذا الابتلاء خير تصوير فقال: **قال تعالى**: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ الأحزاب ١٠–١١، وتحقّق ما أخبر به النبي ﷺ ففتحت بلاد كسرى و بلاد هرقل واليمن، لتكون هذه الفتوح المباركة شاهد صدق على أنه لا ينطق عن الهوى وأنّ سنّته وحي يوحى.

– وقد سأل الرسول ﷺ ذات يوم عديّ بن حاتم الطائيّ رضي الله عنه: (هل رأيت الحيرة؟) قال: قلت: لم أرها، وقد أنبئت عنها. قال: (فإن طالت بك حياة لترينّ الظعينة ترتحل من الحيرة حتّى تطوف بالكعبة، لا تخاف أحدا إلا الله [قال عديّ: قلت فيما بيني وبين نفسي: أين دعّار طيئ الذين قد سعّروا البلاد!؟]، ولئن طالت بك حياة لتفتحنّ كنوز كسرى، قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: كسرى بن هرمز. ولئن طالت بك حياة لترينّ الرجل يخرج ملء كفّه من ذهب أو فضّة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه).

ويعدّد عديّ ما تحقّق من هذه النبوّات فيقول: " فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ". ثمّ يقول رضي الله عنه جازماً واثقاً من صدق ما سمع من رسول الله: " ولئن طالت بكم حياة لترونّ ما قال النبي أبو القاسم ﷺ يخرج ملء كفّه "[1].

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم الحديث (٣٥٩٤) فتح الباري ج ٦ ص ٦١٠ كتاب المناقب، باب رقم (٢٥).

قوله: (الحيرة) بالكسر مدينة بقرب الكوفة.

قوله: (الظعينة) المرأة ما دامت في الهودج، هذا هو الأصل، ثم سميت به المرأة ظعينة، وإن لم تكن في هودج ولا مسافرة.

قوله (الدعار) بالدال المهملة: قطاع الطرق، والذين يخيفون الناس في مقاصدهم، وأصل الدعر: الفساد. (١)

وقال العيني: ((وقيل يحتمل أن هذا إشارة إلي ما وقع في زمن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، لما رواه البيهقي من الدلائل بسنده إلي عمر بن أسيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب،قال: إنما ولي عمر بن عبد العزيز ثلاثين شهرا لا والله ما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم، فيقول اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء فما نبرح حتى يرجع بماله يتذكر من يضعه فيه فلا يجده اغني عمر الناس)) وقال البيهقي(٢) فيه تصديق ما روينا في حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه. إ هـ.

وقد تحقق ذلك في عهد خلافة عمر بن عبد العزيز ، فقد أغني الله الأمة فلم يجد رضي الله عنه من الفقراء والمساكين من يعطيه الزكاة

٣ – المسلمون يركبون البحر للفتح

ومن ذلك ما رواه البخاري، وغيره من حديث انس بن مالك أن خالته أم حرم بنت ملحان النجارية الأنصارية – وكانت تحت عبادة بن الصامت – سألت النبي صلي الله عليه وسلم، وقد أستيقظ من نومه وهو يضحك، قالت: فقلت: ((ما يضحكك يا رسول الله ؟)) قال: ((ناس من أمتي عرضوا علي

(١) أنظر جامع الأصول في أحاديث الرسول ج ١١ ص ٣١٥ رقم (٨٨٧٧) فتح الباري ج ٦ ص ٦١٣، عمدة القارئ، ج ١٦ ص ١٣٥. مختار الصحاح ج١ ص ٦٩

(٢) أنظر عمدة القاري صـ ١٦ صـ١٣٥

غزاه في سبيل الله يركبون ثبج البحر { أي وسطه ومعظمه } ملوكا علي الأسرة أو مثل الملوك علي الأسرة)). قالت يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها، فخرجت مع زوجها عباده بن الصامت، أول ما ركب المسلمون البحر مع معاوية، فلما انصرفوا من غزواتهم قافلين فنزلوا الشام،قدمت إليها دابة لتركبها، فصرعتها فماتت)). (١)

يقول أبن حجر العسقلاني معلقا علي الخبر: ((فيه أخبار بما سيكون فكان كما اخبر ﷺ)) (٢)

– وقد لمح الرسول صلي الله عليه وسلم لغزو المسلمين في البحر عند رجوعه من غزوة تبوك في رجب من السنة ٩ هـ – حيث أشتكي المسلمون ما برواحلهم من الجهد فدعا لها رسول الله صلي الله عليه وسلم: ((اللهم أحمل عليها في سبيلك، إنك تحمل علي القوي والضعيف، وعلي الرطب واليابس في البر والبحر)) فما بلغوا المدينة، حتى جعلت تنازعهم أزماتها.

فقال فضالة بن عبيد الأنصاري راوي الحديث: ((هذه دعوة النبي صلي الله عليه وسلم علي القوي والضعيف، فما بال الرطب واليابس ؟ فلما رأيت السفن في البحر وما يدخل فيها عرفت دعوة النبي صلي الله عليه وسلم))(٣)

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٧٧٨٨—٢٧٨٩) فتح الباري صـ ٦ صـ ١٠ كتاب الجهاد، باب رقم (٣)، وأبو داود رقم (٢٤٩١—٢٤٩٢)، والترمذي رقم(١٦٤٥)،والنسائي جـ ٦ صـ ٤٠ – ٤١ كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد، و الموطأ جـ ٢ صـ ٤٦٤—٤٦٥ في الجهاد، باب الترغيب في الجهاد.

(٢) فتح الباري جـ ١٢ صـ ٤٠٩.

(٣) رواه الإمام احمد في سنده جـ ٥ صـ ٤٥٣.

٤- ومن الفتوح التي أخبر بوقوعها وتحققت فتح القسطنطينية.

فقد روي عبد الله بن بشير الفتوى عن أبيه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ((لتفتحنا ولنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش)) [١]

وروي عبد الله بن عمرو بن العاص قال: ((بينما نحن حول رسول الله صلي الله عليه وسلم نكتب إذا سئل رسول الله صلي الله عليه وسلم : أي المدينتين تفتح أولا: قسطنطينية أ، رومية ؟ فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم: ((مدينة هرقل تفتح أولا)) يعني القسطنطينية،وقد تحققت نبوءته، ففتحها الشاب العثماني المجاهد أبن الثالثة والعشرين محمد بن مراد والمعروف بمحمد الفاتح سنة ١٤٥٣ م ، [٢]

٥- ومما أخبر عنه النبي صلي الله عليه وسلم وتحقق ((افتراق الأمة)) بفعل الأهواء.

فقد أخرج أبو داود في سننه [٣] من حديث أبو سفيان بن حرب يرفعه إلي النبي صلي الله عليه وسلم: ((... وأنه يخرج في أمتي أقوام تجاري بهم الأهواء كما يتجاري الكلب بصاحبه، لا يبقى عرق ولا مفصل إلا دخله))، وقد تمكنت هذه الأهواء في الكثير من النفوس فجرت فيها مجري الدم في العروق، وافترقت الأمة إلي طرائق قدد، وكان الخوارج من أبرز من تنكب عن الجماعة فسعروا الفتن وشغلوا الأمة بفظاعتهم واعتداءاتهم، وقد أخبر الرسول صلي الله عليه وسلم بخروجهم وبان طائفة من المسلمين علي حق

(١) مجمع الزوائد جـ ٦ صـ ١٨، وتاريخ الإسلام جـ ٧ صـ ٤٦٩.

(٢) رواه الأمام احمد في سنده جـ ٢ صـ ١٧٦، وقال الهيثمي رواه احمد ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد جـ ٦ صـ ٢١٩.

(٣) رقم الحديث (٤٥٩٧) في أوائل كتاب السنة.

تقتلهم، يقول النبي ﷺ: ((تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلهم أولي الطائفتين بالحق)) (١)

وسئل صلي الله عليه وسلم عن سيماهم فقال ((سيماهم التحليق)). (٢) كما سئل: يا رسول الله هل في هؤلاء القوم علامة ؟ قال: ((يحلقون رؤوسهم، فيهم الثدية)) (٣).

وفي رواية: ((أيتهم رجل احدي يديه مثل ثدي المرأة)) (٤) وقد قاتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقتلهم، فقال لأصحابه: ((أطلبوا ذا الثديه، فطلبوه فلم يجدوه، فقال: ما كذبت ولا كذبت، أطلبوه، فطلبوه فوجدوه في وهده (٥) من الأرض عليه ناس من القتلى، فإذا رجل علي يده مثل سبلات

(١) رواه أبو داود في سننه رقم (٧٦٦٤) كتاب السنة، باب ما يدل علي ترك الكلام في الفتنة، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وإسناده صحيح.

(٢) رواه الإمام احمد في سنده جـ ٣ صـ ٦٥ من حديث أبي برزة رضي الله عنه وهو حديث طويل وفيه قصة تقسيم الغنائم وتمامه: ((سيماهم التحليق لا يزالون يخرجون حتى يخرج أخرهم، فإذا رأيتموهم فاقتلوهم قالها ثلاثا شر الخلق والخليقة قالها ثلاثا...)). وقال الهيثمي: رجاله رجال الثقات مجمع الزوائد جـ ٦ صـ ٢٢٩.

(٣) فتح الباري جـ ١٢ صـ ٢٠٨، قال ابن الأثير: في حديث الخوارج ذو الثدية هو تصغير الثدي، أنه مدون اليد أي ناقص اليد صغيرها. النهاية في غريب الحديث جـ ٥ صـ ١٦٨، جـ ١ صـ ٢٠٨.

(٤) رواه البخاري في صحيحة رقم الحديث (٦٩٣٣) جـ ١٢ صـ ٢٩٠، كتاب إستا تبة المرتدين باب رقم (٧).

(٥) الوهدة كالوردة المكان المطمئن، والجمع وهد كوعد، ووهأد كمهاد. مختار الصحاح جـ ١ صـ ٣٠٧.

السنور، فكبر علي والناس، وأعجبه ذلك))، وفي راويه، قال علي: التمسوا لي العلامة التي قال رسول الله صلي الله عليه وسلم فاني لم ولا أكذب، فجئ به فحمد الله وأثني عليه حين عرف العلامة))، وحول صدق ما أخبر به النبي صلي الله عليه وسلم من هذه الغيبيات يقول أبو سعيد الخدري: ((أشهد سمعت من النبي صلي الله عليه وسلم، وأشهد أن عليا قتلهم وانأ معه، جيء بالرجل علي النعت الذي نعته النبي صلي الله عليه وسلم)) [1].

٦- ومما اخبر بوقوعه من الغيبيات خروج متنبئين كذابين.

روي البخاري من حديث أبي هريرة،عن النبي صلي الله عليه وسلم : ((لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريبا من ثلاثين،كلهم يزعم انه رسول الله)) [2]

وفي رواية أبي داود: ((حتى يخرج ثلاثون دجالا كلهم يزعم انه رسول الله))وفي أخري: ((حتى يخرج ثلاثون كذابا دجلا، كلهم يكذب علي الله وعلي رسوله)) وفي رواية عبيدة السلماني بهذا الخبر...،

فقلت له: ((أتري هذا منهم ؟- يعني المختار – فقال عبيدة: أما إنه من الرؤوس)) ([1])

---

(١) فتح الباري جـ ١٢ صـ ٢٩١. وقد أوردها الهيثمي في محمد الزوائد جـ ٦ صـ ٢٣٤ ، في كتاب قتال أهل البغي ، باب من جاء في الخوارج جميع الروايات الواردة في الخوارج. قال أبن كثير:عن نافع بن سلمه الأخنسي،قال: ((كان ذو الثدية رجلا من عرنة من جبيله، وكان أسود شديد السواد له ريح منتنة معرف في العسكر وكان يرفقنا قبل ذلك، وينزلنا وننزله)) ،وحدثني أبو إسماعيل الحنفي عن الريان بن صيره الحنفي، قال: ((شهدنا النهر وان مع علي، فلم وجده المخرج سجد سجدة طويلة)). البداية والنهاية جـ ٧ صـ ٢٩٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم الحديث (٩٠٦٣) كتاب المناقب، باب رقم (٢٥) فتح الباري جـ ٦ صـ ٦١٦.

وفي حديث ثوبان مولي رسول الله صلي الله عليه وسلم، مرفوعا يرويه أبوداود (٢) قال: قال رسول الله ﷺ : ((....وأنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، و أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي...)).

وروي احمد، عن أبي هريرة: ((لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا دجالا كلهم يكذب علي الله عز وجل، ورسوله صلي الله عليه وسلم))،(٣)

يقول أبن حجر عن ثبوت نبؤه الرسول الله صلي الله عليه وسلم: ((وقد ظهر مصداق ذلك في أخر زمن النبي الله صلي الله عليه وسلم، فخرج مسيلمة الكذاب باليمامة،والأسود العني باليمن، ثم خرج أبي بكر ة طليحة بن خويلد في بني أسد بن خزيمة،

وسجاح التميمية في بني تميم، وفيها يقول شبيب بن ربحي،وكان مؤدبها أضحت نبتنا أنثي نطيف بها وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا وقتل الأسود قبل أن يتوفي النبي صلي الله عليه وسلم، وقتل مسيلمة في خلافة أبي بكر، وتاب طليحة بن خويلد الأسدي ومات علي الإسلام في الصحيح في خلافة عمر، ونقل أن سجاحا التميمية تابت كذلك {وانتقلت إلي البصرة وماتت بها } ، ومن هؤلاء الكذابين المختار بن أبي عبيد الثقفي {صاحب الفرقة الكيسانية } الذي زين لها الشيطان إدعاء النبوة،وزعم أن جبريل يأتيه، وقدروي الشعبي أن الأحنف بن قيس أراه كتاب المختار إلية يذكر فيه أنه

---

(١) رواه أبو داود في سننه رقم (٤٣٣٣– ٤٣٣٥)، والترمذي رقم (٢٢١٩)، وقال هذا حديث حسن صحيح.والبغوي في شرح السنة رقم (٤٢٤٤) جـ ١٥ صـ ٣٨.

(٢) السنن رقم (٤٢٥٢) كتاب الفتن، باب ذكر الفتن ودلائلها.هذا جزء من حديثه الطويل.

(٣) مسند الأمام احمد جـ ٢ صـ ٤٥٠

نبي. ومنهم الحارث الكذاب خرج في خلافة عبد الملك أبن مروان فقتله...))([1]).

فظهور ما اخبر عنه النبي صلي الله عليه وسلم من هؤلاء الكذابين قبل خروجهم بزمن طويل يدل علي صدقة كما يدل علي مصدر خبره الوحي، لأن الغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالي.

٧ – نعي أمراء مؤتة الثلاثة قبل وصول خبرهم إلي المدينة.

ومما أخبر به النبي صلي الله عليه وسلم من الغيبيات استشهاد أمراء المعركة الثلاثة قبل وصول خبرهم إلي المدينة: ما روي البخاري ([2]) عن انس مالك رضي الله عنه: أن النبي صلي الله عليه وسلم نعي زيدا، وجعفر، وأبن رواحه للناس قبل أن يأتيهم خبرهم. فقال أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذ الراية جعفر فأصيب،ثم أخذ الراية ابن رواحه فأصيب – وعيناه تذرفان – حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم)).

وقال الحافظ أبن حجر: وذكر موسي بن عقبه في مغازيه أن يعلي بن أمية كان أول من قدم بخبر أهل مؤتة، فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم: ((إن

(١) فتح الباري جـ ٦ صـ ٦١٧ حديث (٣٦٠٩).

(٢) الصحيح رقم (٤٢٦٢) جـ ٧ صـ ٥١٢ كتاب المغازي، باب رقم (٤٤).

وأنظر أيضا الروض الأنف جـ ٤ صـ ١٢٠، غزوة مؤتة.

وسير أعلام النبلاء جـ ١ صـ ٣٦٦ خالد بن وليد رقم (٧٨).

شئت فأخبرني، وإن شئت أخبرك، قال: فأخبرني، فأخبره خبرهم، فقال: والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا لم تذكره))، ([1]).

فمن الذي اخبر النبي صلي الله عليه وسلم خبر المعركة وتفاصيل استشهاد الأمراء، وبين المدينة ومؤتة ببلاد الشام {الأردن} مسافات بعيدة قدرها بالكيلو مترات في عصر تنعدم فيه وسائل الاتصال البرقي والسريع، لا شك إن الوحي هو الذي أمده بكل تلك التفاصيل الدقيقة، وهذا دليل واضح الدلالة علي إن السنة النبوية وحي من الله تعالي.

٨ – كشف خبر الخطاب السري الذي أرسله حاطب إلي قريش

إن رسول الله صلي الله عليه وسلم لم أجمع المسير إلي مكة لفتحها في رمضان من السنة الثامنة للهجرة، كتب حاطب بن أبي بلتعة إلي قريش يخبرهم بذالك، وصورته: ((أما بعد يا معشر قريش فإن رسول الله صلي الله عليه وسلم جاءكم بجيش كالليل يسير كالسيل، فو الله لو جاءكم وحدة نصرة الله عليكم وأنجز له وعدة فانظرا لأنفسكم والسلام))، ([2]).

ثم أعطاه امرأة من مزينة أسمها سارة، وكانت مولاة لبعض بني عبد المطلب، وقيل مولاة للعباس، وجعل لها جعلا علي أ، تبلغه قريش، فإذا بالوحي ينزل علي رسول الله ﷺ بما صنع حاطب، فبعث عليها رسول الله صلي الله عليه وسلم علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود، وقال لهم: ((انطلقوا حتى تأتوا روضة ضاخ ، فأن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها)).

(١) فتح الباري جـ ٥١٣ حديث رقم (٤٢٦٢)، وأنظر أيضا مغارى للواقدي جـ ١ صـ ٧٦٢، رسول الله صلي الله عليه وسلم يصف ما حدث لأصحابه في مؤتة.

(٢) عمدة القاري جـ ١٧ صـ ٢٧٣، كتاب المغازى، باب غزوة الفتح.

يقول علي كرم الله وجه: ((فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة، قلنا لها: ((أخرجي الكتاب، قالت ما معي كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب.

قال: فأخرجته من عقصاها، فأتينا به رسول الله ﷺ...)). (١)

إن عليا وصاحبيه رضي الله عنهم لم يصدق المرأة في ادعائها، وهددوها بحزم بخلع ثيابها إن هي لم تخرج الرسالة لأنهم واثقون من صدق خبر الرسول ﷺ، ومن أن الوحي هو الذي أطلعة علي سر الرسالة، وصاحبها، وحاملها،والموضع الذي سيجدونها فيه، وهذا دليل واضح الدلالة علي أن السنة النبوية وحي من الله تعالي. (٢)

٩ – استحلال الزنا و الخمر و المعازف.

ومن الغيبيات التي لا مريه فيها وتحققت ذلك كالشمس في وضح النهار، استحلال الزنا، ولبس الرجال الحرير، والخمر، واتخاذ المعازف، عن أبي مالك الأشعري، وعن أبي عامر رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ، يقول: ((ليكونان من أمتي أقوام يستحلون الحر، و الحرير، و الخمر، والمعازف، ولينزلن أقوام إلي جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم، ويأتيهم – يعني

(١) رواه البخاري في صحيحة رقم (٤٢٧٤) جـ ٧ صـ ٥١٩، باب المغازى، باب غزوة الفتح رقم (٤٦) من حديث أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وهو حديث طويل وفيه قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري في صحيحة رقم (٤٢٧٤) جـ ٧ صـ ٥١٩، باب المغازى، باب غزوة الفتح رقم (٤٦) من حديث أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وهو حديث طويل وفيه قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه.

الفقير – لحاجه فيقولوا: أرجع ألينا غدا فيبيتهم الله،ويضع القلم، ويمسخ أخريين قرده وخنازير إلي يوم القيامة))، (١) {يراجع النص}

قوله: (بسارحة) القوم: مواشيهم، لأنها تسرح إلي المرعي ، ثم تروح علي أهلها بالعشي.

قولة: (العلم): الجبل والعلامة.

قولة: (الحر): ضبطه أبن ناصر بالحاء المهملة المكسورة والراء الخفيفة: وهو الفرج. (٢)

والحر: هو الفرج، كثي به عن الزاني،وما ذكره الحديث من محرمات أصبحت تتعاطي في بعض البلاد الإسلامية بدون تكبر وكأنها من الطيبات بل فقد أقرت سلطات بعض البلاد ما سنه الاستعمار البغيض من قوانين غداة احتلاله لها، لإفساد الشبيبة المسلمة و إضعاف روح المقاومة، تقضي بإقامة دور الخنا العلني وتنشيط زراعة عنب الخمر، وفتح الخمارات في كل زاوية من زوايا البلاد، وحماية مرتدي تلك البؤر الخبيثة برجال شرطة مسلمين يتقاضون مرتباتهم من دافعي الضرائب المسلمين، فالذي أخبر الرسول صلي الله عليه وسلم بما سيؤول أليه أمر أمته من التدني والانحطاط، وتدعي الأمم عليها وإذلالها وأنهاك مقدساتها ونهب ثرواتها بسبب مجافاتها الشريعة وعدم قيامها بأحكامها، وانتهاك المحرمات، إنما هو الوحي الصادق من عند الله تعالي.

١٠ – أرض العرب تعود كما كانت مروجا وأنهارا

(١) رواه البخاري رقم (٥٥٩٠) كتاب الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير أسمه (٦)

(٢) أنظر جامع الأصول في أحاديث الرسول جـ ١٠ صـ ٤٢، وفتح الباري جـ ١٠ صـ ٥٥.

ومن الغيبيات التي أخبر عنه الرسول صلي الله عليه وسلم، ولم تتجسد بعد علي أرض الواقع، إخباره أنه: ((لا تقوم الساعة حتى تعود ارض العرب مروجا وأنهارا)) (١).

قوله: (مروجا) أي رياضا ومزارع، وقال بعضهم: المرج هو الموضع الذي يراعي فيه الدواب.

والحديث يتضمن حقيقتين : الأولي : هي أن أرض العرب الصحراوية كانت في غابر الزمن مروجا وبساتين وأنهارا. والثانية: أن يوما ما من تاريخ الأرض وقبل الساعة ستعود أرض العرب إلي سالف عهدها من الخضرة وتدفق مياه الأنهار في ربوعها.

وهذان الأمران حين نسمع بهم للوهلة الأولي يتملكنا الاستغراب والتعجب لكن حينما نتيقن من مصدر الخبر لا نملك إلا التصديق ومما يزيدنا تصديقا وإيمانا أن العلم يؤيد هذه النبوة، يروي الشيخ عبد المجيد الزنداني، عن أحد علماء الجيولوجيا قوله: ((من الحقائق العلمية التي يعرفها علماء الجيولوجيا أن جزيرة العرب الصحراوية اليوم كانت في زمن قديم بساتين وحدائق، والدليل الحفريات الأثرية التي تدل علي أن هذه الأرض كانت مروجا وأنهارا، وأوضح برهان علي ذلك قرية ((الفاو)) والتي اكتشفت تحت رمال الربع الخالي.

أما عن عودة جزيرة العرب إلي ما كانت عليه من مروج وأنهار فيقول:

((وهذه حقيقة ثابتة.... نعرفها نحن الجيولوجيين)) وبحث عن الأحقاب المناخية التي ستمر بها الأرض، ومنها حقبه جليدية وفي هذه الحقبة سيتغير

(١) الحديث رواه مسلم في صحيحة رقم (١٠١٢) (١٥٧) كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها (١٨) جـ ٢ صـ ٧٠١. والأمام احمد في مسنده جـ ٢ صـ ٣٧ و ٣٧٠. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

طقس الأرض وضمن ذلك يحدث تغيير في طقس بلاد العرب فيصبح باردا أو صبح الجزيرة من أكثر بلاد العالم أمطارا أو انهارا)).

ويعلن الشيخ الزنداني علي هذه المعلومات بقولة: ((فالرسول صلي الله عليه وسلم لم يصل إلي هذا العلم إلا بوحي علوي)) ([1]).

فهذه الأمثلة القليلة التي إستعراضناها من إخباره صلي الله عليه وسلم بالغيبيات، والتي تحققت أو ثبت العلم تحققها يقينا مستقبلا تثبت أن السنة النبوية وحي، وأن الرسول صلي الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى.

وقد أجمعت الهيئة التأسيسية للأعجاز العلمي في القران والسنة التابعة لرابطة العالم الإسلام (١٧٤٤) حديثا مما يدل في العلوم الكونية والطبية ونحوها وان كان قد فاتها الكثير، لاقتصارها علي الكتب التسعة فقط.

(١) انظر الموقع: www.GEOCITIES.COM\RR-EEMZ34.HTM

من كتاب العلم طريق الإيمان لعبد المجيد الزنداني.

وأذكر هنا عدد من الأحاديث النبوية الشريفة، التي جاء العلم.

الحديث مقررا لما تضمنته:

١ – ليس من كل الماء يكون الولد: عن أ[ي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن العزل، فقال: ((ما من كل الماء يكون الولد، إذا أراد الله خلق شيء لا يمنعه شيء)) (١)

في هذا الحديث الشريف ثلاثة أمور علمية محضرة، سبق بها الاكتشافات الحديثة، وهي:

أ- ليس الخلق يكون من جميع الماء –خلافا لما كان يعتقد إلي عهد قريب في الغرب، مع تقلبهم في ذلك – علما بأن الرجل يقذف في المرة الواحدة ما يقرب من نصف مليار نطفه،لكن لا يصل إلي البويضة إلا أقل من خمسمائة، وقد يصل العشرات فقط ولكن الذي يلقحها نطفة واحد.

ب- أن السقط قد يقع مبكرا قبل التخلق.

ت- أن الحمل قد يقع بأذن الله تعالي مع تناول الأم موانع الحمل، وهذا واضح من لفظ الحديث : ((إذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء)) والنصوص كثيرة في الدلالة علي ذلك.

وهذا هو الشاهد الآن. حيث وقع حمل كثير من النساء، وهن يتناولن موانع الحمل.

وما تحدث عنه الرسول صلي الله عليه وسلم من أخبار علمية معقدة تحقق فيها الأعجاز العلمي ن إذا لم تكتشف حقائقها إلا بعد تطور العلوم

(١) رواه مسلم في صحيحة رقم (١٤٣٨) (١٣٣) جـ ٢ صـ ١٠٦٤ كتاب النكاح باب حكم العزل.

وأدوات البحث في العصر الحديث، وبذلك ثبت يقينا علي أن ما تحدثت عنه السنة من هذه الحقائق لا يكون ألا وحي من خالق الكون سبحانه وتعالي.

٢- إثبات ماء الرجل وماء المرأة:

فعن ثوبان رضي الله عنه – في قصة سؤال الحبر اليهودي لرسول الله ﷺ بعض الأسئلة، وفيه:-

جئت أسألك عن الولد ؟ فقال صلي الله عليه وسلم: ((ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا، فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا (أي كان الولد ذكر ا) بأذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الذكر أنثا (أي كان الولد أنثي) بأذن الله)) قال اليهودي: صدقت وانك للنبي ، ثم أنصرف فذهب.

فقال رسول صلي الله عليه وسلم: ((لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه ومالي علم بشيء منه، حتى أتني الله به)) رواه مسلم ([1]).

وقد ورد نحو ذلك من حديث عائشة، وأنس، وأم سلمه رضي الله عنهم[2]

ففي هذه الأحاديث الشريفة – وغيرها – أمور علمية، لم تعرف إلا في هذا القرن، او قبله بقليل، ومنها:

---

(١) رواه مسلم في صحيحة رقم (٣١٥) (٣٤) كتاب الحيض، باب صفه مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما (٨) جـ ١ صـ ٢٥٢ الحديث طويل وفيه أكثر من قصة، وهذا جزء من الحديث. الذي نحن بصدده، ولم نورده بكاملة لأنة يتضمن صفحة كاملة.

(٢) رواه البخاري في صحيحة رقم (١٣٠و٢٨٢و٣٢٢٨و٦٠٩١و٦١٢١) جـ ١ صـ٢٢٨ كتاب العلم، وباب الحياء في العلم رقم (٥).

أ – إثبات ماء للرجل، وأخر للمرأة، وهذا لم يعرف إلا مؤخرا، حيث كانوا يتصورون أن الجنين يخلق من ماء الرجل لا غير، وبخاصة بعد اكتشاف (لوفنهوك) وتلميذه (هام) النطفة، وكانوا يتصورن النطفة علي أنها إنسان صغير جدا ينمو في الرحم حتى يبلغ حجمه المعروف، دون طروّ أي تغير عليه في تركيبه وشكله. واستمر الأمر حتى بعد اكتشاف البويضة، ولم يحسم الأمر إلا في القرن الماضي، حيث أكتشف أهمية النطفة و الحوين في عملية تخلق الجنين.

ب – التفريق بين ماء الرجل وماء المرأة، والذي لم يعرف إلا مؤخَّراً، لأن منشأ مائها يكون بانسكاب السائل الجريبي، الذي يأتي مع البويضة من المبيض، ويكون لونه أصفر رقيقاً.

ج – الجنين لا يكون إلا بعد معاشرة الرجل للمرأة جنسيّاً، فهو مخلوق منهما، خلافاً لما
كان سائداً حتى القرن التاسع عشر الميلادي.

د – تعيين جنس الجنين لا يكون إلا بغلبة أحد الماءين، خلافاً لما كان سائداً حتى القرن التاسع عشر الميلادي – كما ذكرت – ذلك أنهم كانوا يرون أن ما يطرأ على الجنين إنما هو مجرد نمو في الحجم والوزن والشكل، وأنه من ماء الرجل فقط، أو من ماء المرأة فقط – بعد اكتشاف البويضة – ولكنهم اكتشفوا مؤخراً أنه من الرجل والمرأة معاً، كما نصت عليه هذه الأحاديث.

هـ – تحديد الشبه، ونظام التوارث الخَلْقي، بين الولد وأعمامه، وبين الولد وأخواله، وقد
سبق الإسلامُ العلمَ الحديثَ بأكثر من ألف عام في ذلك.

و – كل ذلك بأمر الله تعالى وإذنه، وليس بمجرد اللقاء بين الزوجين، والله تعالى أعلم (١).

٣ – استقرار النطفة الأمشاج في الرحم:

عن حذيفة بن أَسيد رضي الله تعالى عنه يبلغ به النبيَّ الله ﷺ قال: «يدخل المَلَكُ على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين – أو خمسة وأربعين – ليلةً، فيقول: يا رب، أشقيٌّ أم سعيدٌ ؟ فيُكتبان، فيقول: يا ربِّ، أذكرٌ أم أنثى ؟ فيُكتبان، ويُكتبُ عملُه وأثره وأجلُه، ورزقُه، ثم تطوى الصحف، فلا يزداد فيها ولا ينقص » رواه مسلم (٢).

ففي هذا الحديث الشريف برواياته إشارة إلى خمس حقائق علمية، هي:

أ – كون النطفة لا تكون في الرحم قبل استقرارها فيه.

ب – كون النطفة تكون متحركةً قبل استقرارها في الرحم.

جـ – استقرار النطفة في الرحم، لكن لم يُحدِّد الحديث مدة الحركة قبل الاستقرار.

د – التخلق المخفي يكون بعد مضي أربعين ليلة – أو خمس وأربعين – من استقرار النطفة في جدار الرحم.

---

(١) أنظر العقم والأمراض التناسلية ص ٨٧ –٩٣، رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٦٤٤).

(١) جـ ٤ ص ٣٧ كتاب القدر باب كيفية الخلق الآدمي، في بطن أمه (١)، والإمام أحمد في مسنده رقم (١٥٨٣٣) ج ٤ ص ٥٤٣، والبيهقي في السنن الكبرى جـ٢ ص ١٢٧، والاعتقاد للبيهقي باب القول في الآجال والأرزاق ج ١٢ ص ٣٤٠،والموسوعة الفقهية للأجنة والاستنساخ البشري ج١ص٣٥٧و٣٦٨و٣٧٦.

وأعني بالتخلق المخفي: وضع خارطة للجنين، وهي أشبه بوضع مخطط للبيت، ثم يتم تنفيذه فيما بعد. والله تعالى أعلم.

هـ – الإشارة إلى منع دخول أي شيء على النطفة قبل هذه المدة، وهذا هو الواقع حيث إن الرحم يقفل – تقريباً – بما يكون فيه من موانع – بعد نزول البويضة وانغراسها في جدار الرحم. كما سيأتي إن شاء الله تعالى. وقد جاء العلم الحديث ليقرر هذه الحقائق العلمية كلها، والتي لم تُعرف إلا مؤخَّراً [1].

٤- اختراق الأسوار لتصوير الجنين، وحصول التشوه الخِلقي فيه:

عن حذيفة بن أَسيد الغفاريِّ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ بأُذنَيَّ هاتين يقول: «إن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلةً، ثم يتصوَّر عليها المَلَكُ، فيقول: يا ربّ أذكرٌ أو أنثى ؟ فيجعله الله ذكراً أو أنثى. ثم يقول: ياربِّ أسويٌّ أو غيرُ سويٍّ ؟ فيجعله الله سويّاً أو غيرَ سويٍّ. ثم يقول: يا ربِّ ما رزقه ؟ ما أجله ؟ ما خُلُقُه ؟ ثم يجعله شقيّاً أو سعيداً» [2]

في هذا الحديث الشريف عدة أمور علمية دقيقة، لم تُعرف إلا في هذا العصر، أقتصر على ذكر بعضها.

أولاً – قوله صلى الله عليه وسلم: « ثم يتصوَّر عليها المَلَك» التصوُّر: هو النزول من الأعلى، يقال: تصوَّر الدار، وتسوَّر الجدار، أي نزل من علاه[3].

---

(١) انظر: الطب النبوي والعلم الحديث، ومع الطب في القرآن الكريم، ودورة الأرحام، وخلق الإنسان بين الطب والقرآن ج٣ ص٣٢٨-٣٣٠، وأنظر أيضاً شفاء العليل لإبن القيم الجوزية جـ ١ ص ٣٥.

(٢) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٦٤٥) (٤).

(٣) الذي تفيده كتب اللغة أن التصوّر بمعنى السقوط، من قولهم: ضربته ضربة فتصوّر منها، أي: سقط. انظر النهاية لابن الأثير: ج ٣ ص٦٠.

إن البويضةَ بعد تلقيحها في الثلث الأعلى من القناة الرحمية (فالوب) تنتقل منها إلى أعلى الرحم، فتغرس الخلايا المغذيةُ المحيطةُ بها استطالاتِها في مخاطية الرحم، وهي مرحلة العلوق، ثم تبدأ هذه الخلية بالانقسام والتخلق، فتصير علقة، ثم مضغة، ثم يتكوّن الغشاء المشيمي، الذي يتكون من ثلاث طبقات[1] فإذا أضيف إلى هذه الأغشية جدارُ المشيمة وجدارُ الرحم: صارت بمنزلة الجدر المحيطة بالنطفة، والأسوار القوية المنيعة الحامية لها بإذن الله تعالى، التي تمنع من وصول أي شيء إلى النطفة.

يضاف إلى ذلك أيضاً: أن الغدةَ النخاميةَ بإصدارها الأوامر لحدوث:

أ – ما يحيط بالنطفة من الأغشية السابقة التي تمنع وصول أي شيء إليها، وتكون جدرانها قوية صلبة.

ب – ما يحيط بالنطفة من دماء سميكة وسوائل تمنع وصول أي حيوان أو غيره إليها أيضاً.

جـ – إن عنق الرحم يكون – في أثناء نزول البويضة من مبيضها – واسعاً، ليسمح بولوج ملايين النطف من المهبل إلى القناة، فإذا لقحت وانتقلت إلى الرحم وعلقت بجداره؛ فإن عنق الرحم يضيق جدّاً، بحيث لا يسمح بدخول إلا النادر من النطف.

د – إن السائل الجريبي الذي يكون عند مرحلة الإخصاب كثيراً ورقيقاً جدّاً؛ ليسهل انتقال النطف إلى القناة الرحمية بسهولة؛ فإنه بعد العلوق يصبح سميكاً جدّاً جدّاً، بحيث لا يسمح بدخول النطف، فيكون كالسدّادة التي تمنع دخول أي شيء، وإن كان العنق ليس مغلقاً حقيقة، بل هو متضيق جدّاً جدّاً.

(١) انظر: الوجيز في علم الأجنة وخلق الإنسان (٢٠١ . وما بعد) وعامة كتب الأجنة.

لذا فإن المَلَكَ يتسوَّر هذه الجدران، ويتجاوز هذه الأسوار السميكة المانعة الحارسة – التي جعلها الله تعالى حفاظاً على هذا الجنين الذي لا يملك ما يدافع به عن نفسه – ليصوِّر الجنين، ويخلق الله تعالى على يديه ما يشاء.

ثانياً – في هذا الحديث دلالة على أن التشوه الخِلقي لا يكون قبل الأربعين من التلقيح – التي هي فترة تنامي الجنين – وإنما يكون بعدها، وذلك في الفترة التي يكتب فيها المَلَك جنس الجنين وعمرَه ورزقَه وخُلقَه،... إلخ

قال الدكتور محمود ناظم نسيمي [1]: لقد اكتشف أن هناك أوقاتاً خاصة من تنامي الجنين تكون فيها التشوهات محرَّضةً بعوامل خارجية، وأن هناك فترات خاصة – محددة بدقة – بالنسبة للتشوهات النوعية المختلفة:

ففي الدور المبكر – من التكاثر الخلوي – يصعب أن تثير أيُّ عوامل حدوثَ التشوهات، وإذا ما قدِّر وأصيبت المضغةُ بعامل ماسخ لها، فربما تهلك. أما إذا نجت من أثر ذلك العامل، فإنها تتنامى مخلوقاً سويّاً باستبدال الخلايا المتأذية.

وكذلك في المراحل المتأخرة من التنامي؛ إذ يصعب أيضاً، ويندر أن تنشأ تشوهات، لأن العمليات المؤدية لنشأة الأعضاء تكون قد قطعت شوطاً بعيداً، وكادت أن تستكمل تماماً.

وبالنسبة للبشر: يفترض أن الفترة الحرجةَ أو الحسّاسة تمتد من الأسبوع الرابع للحمل وحتى الأسبوع السابع، وإن كانت التشوهات ممكنةَ الحدوث حتى في الشهر الثالث، ولكن بنسبة أقل بكثير.

فمصير الجنين – من حيث السواء، أو التشوه – يتحدد في الأسبوع السابع من التنامي بشكل عام.

---

(١) الطب النبوي والعلم الحديث جـ٣ص ٣٤٤ وأخذه عن النشأة الأولى.

قلت: إن حصل التشوه قبل الأربعين فله حالتان: إما أن تُستبدل بالخلايا التي شوِّهت أخرى سليمة، ويزول التشوه بإذن الله تعالى، وإما أن يسقط الجنين، إذا كان التشوه كاملا. وأما في المراحل المتأخرة من الحمل فيندر وقوع التشوه، لأن الجنين قد اكتملت صورته وأعضاؤه وإن كان التشوه ممكناً كما هو الحال في الإنسان بعد ولادته وكبره.

إنما يتحدد مصير الجنين في فترة سؤال الملك، فإن كان الله تعالى قد قدَّر أن يكون

مشوَّهاً كتبه الملك وكان كذلك، وبقي حتى يخرج إلى الدنيا وهو كذلك، وإن قدَّر تعالى أنه سليم كتبه الملك كذلك، وبقي كذلك حتى يخرج إلى الدنيا وهو كذلك، والله أعلم.

٥ – الكتابة على جبهة الجنين:

عن عبد الله بن عُمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أراد الله أن يخلق نَسمةً قال ملَكُ الأرحام – مُعرِضاً – أي ربِّ أذكرٌ أم أنثى ؟ فيقول، فيقضي الله أمرَه، ثم يقول: أي ربِّ أشقيٌّ أم سعيد؟ فيقضي الله أمرَه، ثم يَكتبُ بين عينيه ما هو لاقٍ، حتى النكبةَ يُنْكَبُها) [(١)].

فجاء العلم الحديث ليكشف لنا هذه الحقيقةَ العلميةَ المذهلة، التي نص عليها الحديث، ولكن لم تُعرف إلا في العصر الحديث.

قال علماء الأجنة: إذا بلغ الجنينُ أربعةَ أشهر يُكتب على جبهته؛ حتى كأن وجهه

وجه فيلسوف، إنها شعيرات مرسومة بمهارة فائقة.

والغريب أنه ليس ثمة اثنان على وجه الأرض تتشابه فيهم هذه الكتابة، حتى لو كانا توءمين، ثم تختفي تلك الكتابة تحت طبقة دهنية كثيفة، تغطي جلد الجنين، وتُخفي عن أعين المتلصصين تلك الكتابة الفذة الرائعة [(٢)].

---

(١) رواه مصنف عبد الرزاق في مصنفه ج١١ص ١١٢ وإبن حبان في صحيحه ج٦ ص ١٦ رقم ٦٠٦٩ ومسند أبي يعلى ج١٠ص١٥٤ – ١٥٥)، والبزاز في مسنده (كشف الأستار ج٣ ص ٢٣ والآجرى في الشريعة ج ٢ ص ٧٨٢، والسنة لإبن أبى عاصم ج١ ص ١٤٨ أو ١٤٩ من طرق) وأنظر مجمع الزوائد للهيثمي ج ٧ ص ١٩٣. وأسانيد أغلبهم صحيح، وروى الشيخان نحوه من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) انظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن،ج٣ص٣٠٢.

٦ – في جسم الإنسان (٣٦٠) مفصلاً:

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: (إنه خُلق كلُّ إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مَفصِل،...(ملتقى العظمين في البدن) فمن كبر الله، وحمد الله، وهلل الله وسبح الله ، وأستغفر الله، وعزل حجرا عن طريق الناس، أو شوكة أو عظماً عن طريق الناس، وأمر بمعروف، أو نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلاثمائة السلامى (المفصل)، فإنه يمشي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار) [١]

وعن بريدة رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (في الإنسان ثلاثمائة وستون مفصلاً، فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منه بصدقة، قالوا: ومن يطيق ذلك يا نبي الله ؟

قال: النخاعة في المسجد تدفنها والشيء تنحيه عن الطريق فإن لم تجد فركعتا الضحى تجزئك)[٢] .

مجموع مفاصل الأطراف العلوية (٦٤) مفصلاً، ومفاصل الأطراف السفلية (٦٢) مفصلاً، ومفاصل العمود الفقري (٧٦) مفصلاً، ومفاصل القفص الصدري (٦٦) مفصلاً، ومفاصل الجمجمة (٨٦) مفصلاً، ومفاصل الحنجرة (٦) مفاصل، فيكون مجموع ما في جسم الإنسان = ٦٤ + ٦٢ + ٧٦ + ٦٦ + ٨٦ + ٦ = ٣٦٠ مفصلاً.

ولا شك أن الوحي هو الذي أمره بكل تلك التفاصيل الدقيقة. ويدل ذلك أن الرسول ﷺ موصول بالوحي ومعلم من خالق السموات والأرض، الأمر الذي يدعم الحقيقة أن أحاديث الرسول ﷺ وأخباره وحي من الله تعالى.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٠٠٧) (٥٤) جـ٢ ص ٦٩٨ كتاب الزكاة، باب بيان أن إسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (١٦).

(٢) رواه أبو داوود في سننه رقم (٥٢٣٧) باب في إماطة الأذى عن الطريق. وإبن خزيمة في صحيحه رقم (١٢٢٦) جـ ٢ ص ٢٢٩

٧- ما جاء في الطاعون من معجزة وحي السنة:

عن أسامةَ بن زيد رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فراراً منه» (١).

سئل الدكتور (جون لارسن) من قِبل هيئة الإعجاز العلمي: إذا كنتَ حاكماً على مدينة، وأُصيبت تلك المدينة بمرض وبائي خطير؛ أو ما يُسمى بالطاعون؛ فماذا تفعل يا دكتور ؟

قال: سآتي بالجنود، وأضرب حصاراً على المدينة؛ لمنع الدخول إليها، والخروج منها.

قيل له: أمّا أن تمنع الدخول فقد علمناه، ولكن لماذا تمنع الخروج منها ؟

قال: لأن الدراسات في الفترة المتأخرة كشفت لنا أنه عندما يكون الطاعون منتشراً في مدينة من المدن، أو منطقة من المناطق؛ فإن عدد الذين تظهر عليهم أعراض المرض تتراوح نسبتهم (ما بين ١٠ – ٣٠ ٪) قيل له: والباقون من سكان المدينة ما بالهم ؟

قال: هؤلاء الباقون يحملون الجرثومة في أجسادهم، لكن جهاز المناعة عندهم يتغلب على الجراثيم، فتبقى في الجسم، ولكنها لا تضره، فإذا بقي هذا الصحيح في البلدة التي فيها الطاعون فلا خوف عليه، لأنه ملقَّحٌ، ولأن عنده مقاومة من جهاز المناعة تدفع عنه المرض.

---

(١) الحديث متفق عليه، رواه البخاري رقم (٥٧٢٨)، فتح الباري جـ ١٠ ص ١٧٨ كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون (٣٠)، ومسلم رقم (٢٢١٨) (٩٢ – ٩٧) ج٤ص١٧٣٧ كتاب السلام، باب (٣٢).

أما لو خرج من هذه المدينة – أو البلدة – فإنه يخرج حاملاً لهذه الجرثومة، فينقل ذلك المرض إلى مدينة جديدة، وقد ينشأ عن ذلك هلاك الملايين من البشر، بسبب خروج هذا المصاب... قيل: إلى متى يستمر هذا الحصار المضروب على هذه المدينة ؟

قال: إلى وقت يسير، حتى يتغير سلوك الجرثومة، بإضافة خصيصة وراثية جديدة، حتى تذهب فيها خصيصة العدوى التي تنتشر، وتنقل المرض إلى الآخرين. اهـ[1]

(١) مجلة الإعجاز العلمي (العدد الرابع).

٨- يحمل الكلب الكثير من الأمراض المعدية:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبع مرات).

وفي رواية قال: (وإذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليرقه، ثم ليغسله سبع مرار).

وفي أخرى(طهور إناء أحدكم، إذا ولغ فيه الكلب: أن يغسله سبع مرات، أولاهن بالتراب).

وفي أخرى (إذا ولغ الكلب في الإناء: فاغسلوه سبع مرات، السابعة بالتراب).

وفي رواية الترمذي قال: قال لي رسول الله ﷺ:(يغسل الإناء إذا ولغ فيه الكلب سبع مرات أولاهن أو أخراهن بالتراب وإذا أولغت فيه الهرة غسل مرة)[1]. قال الدكتور جون لارسن: وهو من كبار علماء الغرب، وأحد كبير أطباء المستشفى الرسمي في (كوبنهاجن) حيث قال جواباً عن سؤال حول الكلب والقط، فقال: يحمل الكلب الكثير من الأمراض المعدية، فهو يحمل ما يقارب خمسين مرضاً طفيليّاً، وكثير منها في لعابه لكن يستثنى من ذلك أكل صيد الكلب المعلم **قال تعالى**: ﴿ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ

(١) الحديث متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه رقم (١٧٢) جـ ١ ص ٢٧٤، كتاب الوضوء، باب إذا شرب الكلب في الإناء. ومسلم رقم (٢٧٩) (٨٩ – ٩٢) جـ ١ ص ٢٣٤ كتاب الطهارة، باب حكم ولوغ الكلب (٢٧). وأبو داوود في سننه رقم (٧١ و ٧٢ و ٧٣)، والترمذي في جامعه رقم (٩١) والنسائي ج ١ ص ١٧٦ ١٧٧ في المياه، باب سؤر الكلب، والإمام أحمد في مسنده جـ ٢ ص ٨٤٥، ومالك في الموطأ ج ١ ص ٣٤ في الطهارة باب جامع الوضوء

تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ﴾ (المائدة ٠٠٤)

ويعد القط من أطهر الحيوانات من الناحية الطبية، فهو لا يحمل من الجراثيم والميكروبات إلا ما يسبب مرضاً واحداً فقط، إنه مرض إذا أصيب به شخص أصيب بالعمى، يوجد هذا المرض في براز القط، فإذا أكل حيوان آخرُ هذا البرازَ انتقل هذا المرضُ إلى جسم هذا الحيوان

وعندما يذبح هذا الحيوان ويؤكل لحمُه؛ ينتقل المرض بدوره إلى الإنسان فيصاب به. اهـ[1]

(١) أنظر مجلة الإعجاز العلمي (العدد الرابع).

٩- الذباب يحمل الجراثيم ومبيداتها:

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله، ثم ليطرحه، فإن في أحد جناحيه شفاء، وفي الأخرى داء)[١].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (في أحد جناحي الذبابة سم، وفي الآخر شفاء، فإذا وقع في الطعام، فاقتلوه فيه. فإنه يقدم السم ويؤخر الشفاء)[٢].

إن الذباب إذا أُغمس في اللـبَنِ أو الطعـامِ أو الشـراب... فـإن الجـراثيم الـتي تسقطُ منه في الإناء... لا تقف عند حدها، بل تبـدأ تتنـاقص حتـى تنتهـي، بينما إذا وقف الذبابُ ثم طار، فإن الجراثيمَ التي تسقط منه – وتخـالط المـاءَ أو الشرابَ – تبدأ بالزيادة، وهكذا، ولو كان الأمـر عاديـاً لكـان الأمـر علـى العكس، وفي انغماس الذبابِ تكون الجراثيمُ الساقطةُ أكثرَ بكثير منها في حال وقوفه ثم طيرانه[٣].

يعد هذا الحديث من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم الطبيـة فقـد أثبتـت التجـارب العلميـة الحديثـة....أن هنـاك خصيصـة في أحـد جنـاحي الذباب وهي أنه يحمل البكتريا، فـإذا سـقط في شـراب أو طعـام وألقـى تلـك الجراثيم العالقة بأطرافه في ذلـك الشـراب أو الطعـام فـإن أقـرب مبيـد لتلـك

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٥٧٨٢) جـ ١٠ ص ٢٥٠ كتاب الطب، باب إذا وقع الذباب في الإناء (٥٨).

(٢) رواه بن ماجة في سننه رقم (٣٥٠٤) جـ ٢ ص ١١٥٩ كتاب الطب باب يقع الذباب في الإناء (٣١).

(٣) انظر: الإصابة في صحة حديث الذبابة (١٣٥- ١٨٦).

الجراثيم هو مبيد البكتريا الذي يحمل في جوفه قريباً من أحد جناحيه.... ولذا فإن غمس الذباب كله وطرحه كاف لقتل الجراثيم وإبطال عملها.

فالعلم توصل إلى تلك الحقائق التي أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم بصورة إعجازية منذ أربعة عشر قرناً مما يدل على أن السنة وحي تلقاه من الله سبحانه وتعالى وإن هذا الحديث يشير إلى معجزتين:

أولاهما: إثباته أن الذباب يحمل عنصر المرض وهو الداء، وقد ظهرت هذه بشكل متيقن، وأثبته العلم.

ثانيهما: أن الذباب يحمل عنصر الشفاء، وهو الدواء، وقد ظهرت هذه بشكل واضح وجلي وأثبته العلم.

١٠- الجسد يبلى ما عدا عجب الذنب

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (ما بين النفختين أربعون، قيل: أربعون قيل: أربعون يوماً ؟ قال أبو هريرة: أبيت [١]، قالوا: أربعون شهراً ؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة ؟ قال: أبيت، ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، وليس من الإنسان شيء إلا بلى، إلا عظم واحد، وهو عجب الذنب [٢]، منه يركب الخلق يوم القيامة).

وفي رواية: طرف في ذكر عجب الذنب، قال (إن في الإنسان عظماً لا تأكله الأرض أبدا، فيه يركب يوم القيامة، قالوا أي عظم هو يا رسول الله ؟ قال: عجب الذنب).

وفي رواية أخرى: قال رسول الله ﷺ: (كل إبن آدم تأكله الأرض، إلا عجب الذنب، منه خلق، وفيه يركب)[٣]

---

(١) (قال: أبيت) معناه أبيت أن أجزم بأن المراد أربعون يوما أو شهرا أو سنة.
بل الذي أجزم به أنها أربعون مجملة. وقد جاءت مفسرة من رواية غيره في غير مسلم: أربعون سنة.

(٢) (عجب الذنب) أي العظم اللطيف الذي في أسفل الصلب، وهو رأس العصعص ويقال له: عجم، بالميم وهو أول ما يخلق من الآدمي. وهو الذي يبقى منه ليعاد تركيب الخلق عليه. أنظر فتح الباري ج ٨ ص ٥٥٢، شرح السنة ج ١٥ ص ١٠٥.

(٣) رواه البخاري رقم (٤٨١٤) و (٤٩٣٠) ج ٨ ص ٥٥١ كتاب التفسير، باب ٤، ومسلم رقم (٢٩٥٥) (١١٤ – ١٤٣) ج ٤ ص ٢٢٧٠ كتاب الفتن، باب رقم (٢٨)، وأبو داوود رقم (٤٧٤٣).والإمام مالك في الموطأ ج١ص ٢٣٩ كتاب الجنائز، باب جامع الجنائز، والإمام أحمد في مسنده ١٦٣/٢ رقم (٩٣٩٧).

(٤) رواه الحاكم في المستدرك ج٤ص٦٥١،وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجب الذنب، قيل: وما هو يا رسول الله؟ قال: مثل حبّة خردل، منه ينشئون)(٤).

يقول د/ زغلول النجّار: " يشتمل هذا الحديث على حقيقة علميّة لم تتوصل العلوم المكتسبة إلى معرفتها إلا منذ سنوات قليلة، حين أثبت المتخصّصون في علم الأجنّة أنّ جسد الإنسان ينشأ من شريط دقيق للغاية يسمّى الشريط الأولي الذي يتخلّق بقدرة الله سبحانه في اليوم الخامس عشر من تلقيح البويضة وانغراسها في جدار الرحم... وثبت أنّ هذا الشريط الأوّلي يندثر عدا جزء يسير منه يبقى في نهاية العمود الفقري وهو المقصود بعجب الذنب [نهاية العمود الفقري]". ويضيف: " وقد أثبتت مجموعة من علماء الصين في عدد من التجارب المختبريّة استحالة إفناء عجب الذنب كيميائياً بالإذابة في أقوى الأحماض أو فيزيائياً بالحرق أو بالسحق أو بالتعريض للأشعّة المختلفة، وهو ما يؤكد صدق حديث المصطفى ﷺ الذي يعد سابقاً لكافة العلوم بأكثر من ١٤٠٠ سنة [١]".

إنه لا يمكن لعاقل أن يتصوّر مصدراً لهذه الحقيقة العلميّة التي أخبر بها محمد ﷺ من قبل ألف وأربعمائة سنة غير وحي صادق من عند الله سبحانه وتعالى، بعض الأحاديث التي تدل على إطلاعه عليه السلام على الغيبيات: فعن عمر بن الخطاب.رضي الله عنه، قال: قام فينا النبي ﷺ مقاماً فأخبرنا عن

(١) أنظر المحجة (جريدة جامعة نصف شهرية تصدر بفاس بالمغرب) العدد ١٩٣ – ١٤ ربيع الأول ١٤٢٤ هـ / ١٦– ٥ – ٢٠٠٣ م – ص ٦.

بدء الخلق، حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه، ونسيه من نسيه. رواه البخاري في صحيحه رقم (٣١٩٢).

أي أخبرهم ﷺ منذ بدء الخليقة حتى نهاية العالم.

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال: (قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً، ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة، إلا حدث به، حفظه من حفظه).

ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه، فأذكركما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم رآه عرفه، متفق عليه واللفظ لمسلم [(١)].

فقوله رضي الله عنه: (ما ترك شيئاً) أي لم يترك شيئاً ذا بال منهم، يحتاجون إلى معرفته: إلا أخبرهم صلى الله عليه وسلم به.

وعنه (حذيفة) رضي الله عنه قال: أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، فما منه شيء إلا قد سألته، إلا أني لم أسأله ما يخرج أهل المدينة من المدينة. [(٢)]

وعن عمرو بن أخطب رضي الله عنه: صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر، وصعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت الظهر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر،

(١) رواه البخاري رقم (٦٦٠٣) جـ ١١ ص ٤٩٤ كتاب القدر، باب وكان أمر الله قدرا مقدورا رقم الباب ٤، ومسلم رقم ٢٨٩١ (٢٣) جـ ٤ ص ٢٢١٧ كتاب الفتن، باب إخبار النبي صلى الله عليه وسلم فيما يكون إلى قيام الساعة (٦).

(٢) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٨٩١) (٢٤).

فخطبنا حتى حضرت العصر فنزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا [(١)].

فهذا فيه كسابقه (فأخبرنا بما كان – أي فيما مضى – وبما هو كائن – في المستقبل)

ففي هذه النصوص، وغيرها مما لم أذكره، دلالة على أنه صلى الله عليه وسلم أخبرهم عن الماضي السحيق، وبدء الخلق، وعن المستقبل البعيد، بعد دخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ولا يمكن أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال ذلك إجتهاداً من واقع بشريته، إذ ليس في ذلك مسرح إنما هو الوحي الذي آتاه الله تعالى، لأنه لا ينطق عن الهوى، وإنما يتبع ما يوحى إليه. ودلائل النبوة كثيرة، والحمد لله، وهي متنوعة، لكني سأقتصر هنا على ذكر ما يخص بحثنا هذا – وهي أربعة أنواع.

وسأقتصر على بعض ما ورد في الصحيحين – أو أحدهما – فقط.

أولا – إخباره ﷺ بالغيبيات الماضية:

وبالنظر فيما ورد عنه صلي الله عليه وسلم من الأحاديث النبوية التي تتحدث عن الغيبيات الماضية نجدها قسمين:

الأول: تتحدث عن الأنبياء السابقين عليهم السلام.

الثاني: تتحدث عما حصل في الأمم الماضية، مما لم يرد ذكره في القران الكريم، ولا يعرف في كتاب، وهذا كثير جدا.

١ – الأحاديث التي تتحدث عن الأنبياء السابقين عليهم السلام وهي نوعان:

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٨٩٢) (٢٥) .

أ- ما جاء في إخباره عن الأنبياء عليهم السلام مع تعيينهم بأسمائهم. والأحاديث في ذلك كثيرة، لكني سأقتصر على ما ورد في الصحيحين أو احدهما. فمن ذلك: بيان خلق ادم عليه السلام وطوله، وسلامه عليه السلام على الملائكة وردهم عليه، ومحاجة ادم وموسى عليهما السلام، وطواف إبليس به عند خلقه، وإنذار نوح عليه السلام أمته من الدجال.....الخ.

ب- ما جاء عن الأنبياء عليهم السلام من غير تسمية لواحد منهم:

وهذا كثير أيضا، لكني سأقتصر على ذكر بعض ما ورد في الصحيحين أو احدهما، فمن ذلك:

إخباره ﷺ أن لكل نبي حواريين، وإعطاء كل نبي آية على مثلها آمن البشر، وان لكل نبي بطانتين، وان كل واحد منهم رعى الغنم، وتخيير كل نبي عند المرض بين الدنيا والآخرة، وأنهم تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم.....الخ.

٢- وهو الإخبار عن الأمم السابقة:

أن الأحاديث التي وردت عن النبي ﷺ وهي تتحدث عن الأمم السابقة كثيرة جدا، لكني سأذكر هنا بعض ما ورد في الصحيحين أو احدهما فقط، ومن ذلك مايلي:

تقدير المقادير قبل خلق السماوات والأرض، جعل الرحمة مائة قسمة، وإنزال قسم منها إلى الأرض لتتراحم به الخلائق، وخلق الملائكة من نور، وجعل الأرواح جنودا مجنده، واصطفاء كنانة من ولد إسماعيل عليه السلام، و أن عمرو بن الحي أول من سيَب السائبة، وأن المسجد الأقصى بني بعد المسجد الحرام بأربعين سنة ..... الخ.

ثانيا – إخباره ﷺ عن الكائنات المستقبلة في حياته فوقعت طبق ما أخبر به، سواء في حياته أو بعد وفاته.

النوع الأول:- ذكر القران الكريم أو أشار إليه وهو كثير (١).

النوع الثاني:- ما ورد من الأحاديث النبوية الشريفة مما لم يرد ذكره في القران الكريم، أو يشير إليه، وهو كثير جدا أيضا، لكني سأقتصر علي ما ورد في الصحيحين أو أحدهما فقط، على سبيل الإشارة،وإن كان في غيرهما أحاديث صحيحة كثيرة، فمن ذلك:

إخباره ﷺ عن الهجرة من مكة إلى المدينة، وإخباره ﷺ عن إتمام هذا الدين وظهوره، وإخباره ﷺ عن الخصائص التي خصه الله تعالى بها، وعن استشهاد بعض أصحابه رضي الله عنهم (كعمر وعثمان وعلي وطلحة و الزبير...)

وإخباره ﷺ عن قتله عليه السلام لأمية بن خلف، وقتل أبي بن خلف وعن مصارع صناديد قريش في بدر، مع تحديد أماكنهم .....الخ.

ثالثا – إخباره عليه السلام عن الغيبيات المستقبلة:

أن الأحاديث في هذا الباب كثيرة جدا، لكني سأقتصر على ذكر بعض ما ورد في الصحيحين أو أحدهما للاختصار لا لإهمال غيرهما – معاذ الله – وإلا فإن في غير الصحيحين أحاديث صحيحة كثيرة أيضا، ولا سيما أنهما لم يستوعبا كل الصحيح، وقد ذكرت تلك الأحاديث في الأصل، لأن القصد هو الإشارة والتنبيه، فمن ذلك:

إخباره عليه السلام عن الفتن والملاحم، وعن الخوارج ، وخوارج أخر الزمان، وإخباره عليه السلام عن القتال بين الطائفتين الكبيرتين من المسلمين، وعن غزو

(١) راجع الشمائل لأبن كثير (٣٥٠-٣٥٧).

القسطنطينية، وعن قتال الترك، وعن فتن أغيلمة من قريش، وعن الدجاجلة والكذابين، وعن القرون المفضلة، وعن أشراط الساعة، وعن النار التي ستخرج من أرض الحجاز، وعن وجود الشر بعد الخير في هذه الأمة... إلخ.

رابعاً: إجابته عليه السلام عن مسائل فكانت وفق الواقع، وأن هذه الإجابات لا تكون من علم البشر:

كجوابه عليه السلام لعبد الله بن سلام قبل إسلامه عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي وهي عن الروح، وعن أقوام ذهبوا في الدهر فلا يدرى ما صنعوا، وعن رجل طوّاف في الأرض بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وجوابه ﷺ حبْر يهود عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، عن خلق الولد، وكيف ينزع الولد إلى أبيه وإلى أمه وعن أول طعام يأكله أهل الجنة، وعن أول أشراط الساعة، وجوابه ﷺ خبر يهود عن أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات... الخ.

وراجع أيضاً المصادر التالية أسماءهم:

١) سنن الكبرى للبيهقي، ط / دار الفكر، ج ١٣، ص ٤٧٨.
٢) المستدرك للحاكم، ط / دار الكتب العلمية، ج٢، ص ٦٦٩، و ٦٧٠.
٣) جامع المسانيد والمراسيل للسيوطي ج ١٣، ص ٢٤٧.
٤) مشكاة المصابيح للتبريزي، ج ١، ص ٩٢، و ٤٧٥، و ٥٢، و ج ٢، ٣٤١، و ج٣ ص١٤٧، و١٥١، و١٧١، و٢٦٥، و٢٧٠، ٣١١، و٣١٢، و ٣١٥، و ٣١٧، و ٣٢٤، و ٣٤١، ٣٥٣، و ٣٧٧، و ٣٩١، و ٣٩٩، و ٤٠٢.
٥) فيض القدير للمناوي، ج ٢، ص ١٧٦، و ج ٣، ص ٣٧، و ٥٢٨، و ج ٥، ص ٧٠، و ١١٩، و ٢١٥، و ج ٦، ص ٤٦٥.
٦) سبل السلام للأمير الصنعاني، ط / دار الفكر، ج ٣، ص ٦٢٨.
٧) الأذكار للإمام النووي، ط / دار الفكر، ص ٣٠٠.

٨) نيل الأوطار للشوكاني، طـ / دار الفكر ج ١، ص ١١٥، و ج ٣، ص ٣٢٢.
٩) الدرر المنتثرة للسيوطي، طـ / دار الفكر، ج ١، ص ٢٨٨.
١٠) كنز العمال للمتقي الهندي، طـ / دار النشر ج ١، ص ٥٥٠ و ٢٤٨٤.
١١) تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير لابن حجر العسقلاني، طـ / المدينة المنورة، ج ٢، ص ١٠١ و ج ٤، ص ٨٧.
١٢) معجم الطبراني الكبير، طـ / دار النشر، جـ ١، ص ٢١١.
١٣)شعب الإيمان للبيهقي، طـ / دار الكتب العلمية، جـ ١، ص ٩٤ و ١٥٨، ١٥٩، و جـ ٢، ص ٧٥، و ١٣٢، ١٤٦، ١٤٧، ١٧٧، و ١٧٨، و ١٨١، و ١٨٢، و ٢٣٩، ٥٠٨، و جـ ٣، ص ٤٥٨، و جـ ٤، ص ١٩٢، وجـ ٧، ص ٢٢١، و ٢٨٣، و ٢٩١.
١٤) تخريج أحاديث الإحياء العراقي لزين الدين العراقي، طـ / دار النشر، بيان معجزاته وآياته الدالة على نبوته.
١٥) تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للمزي، طـ / دار النشر، المكتب الإسلامي، جـ ٦، ص ٢٣٢.
١٦) الاعتقاد للبيهقي، طـ/ دار النشر، دار الكتب العلمية، باب القول في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.
١٧) الشريعة للآجري، ط/ دار النشر، باب ذكر دلائل النبوة.
١٨) دلائل النبوة للبيهقي ط/ دار النشر، دار الفكر.
باب أتباع سراقة بن مالك بن جعشم أثر رسول الله ﷺ.
باب ذكر المنبر الذي اتخذ لرسول الله ﷺ.
باب ذكر رسول الله ﷺ من قتل ببدر.
باب وقوع الخبر بمكة، وقدوم عمير بن وهب على النبي ﷺ

باب ما ظهر في حفر خندق من دلائل النبوة وآثار الصدق.
باب ذكر البيان أن خروج الماء بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم.
باب مشي العذق الذي دعاه محمد صلى الله عليه وسلم.
جماع أبواب كيفية نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وانظر أيضاً دلائل النبوة للغريابي.

ودلائل النبوة للبيهقي.
ودلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني.
وأعلام النبوة للماوردي الشافعي.

١٩) تهذيب السيرة النبوي للإمام النووي ص٦٢ فصل في معجزات الرسول ﷺ.

٢٠) الموسوعة الفقهية للأجنة والاستنساخ البشري من الناحية الطبية والشرعية والقانونية للدكتور سعيد منصور موفق، طـ / دار الإيمان، الإسكندرية.

وثمة أمران مهمان تجدر الإشارة إليهما تتمة لهذا البحث:

الأمر الأول: كون السنة تستقل بالأحكام فهي تنشئ حكما لم يرد في كتاب الله تعالى.

الأمر الثاني: كونها ناسخة للقران وللسنة وهذا مما يؤكد أنها وحي من الله تعالى.

الأمر الأول: استقلال السنة بالأحكام الشرعية.

يجوز أن تستقل السنة بأحكام خاصة عن الكتاب:

إن الدين الإسلامي على سعته لكل مكان وزمان ، وعلى شموله كل أحوال الإنسان له مصدران أصيلان ، يستمد منهما أحكامه ، ويعرف المسلم

بهما حلاله وحرامه، لا ينفك عن الآخر أحدهما ، ولا يصح إيمان امرئ إلا إذا أسلم لهما ، وأيقن بقلبه ما جاء فيهما ، فهما لا يزالان إلى يوم القيامة صنوان ، وإن أردت التشبيه المادي لهما فقل هما عملة واحدة لها وجهان. وهذان المصدران هما الكتاب والسنة.

ولقد اجتمعت كلمة المسلمين على اختلاف الطوائف والمذاهب على إثبات الكتاب والسنة مصدرين أصليين لأحكام التشريع على إثبات الكتاب والسنة مصدرين أصليين لأحكام التشريع الإسلامي ثم اختلفوا فيما وراء ذلك من مصادر على تفصيل في كتب الأصول تبعا لكل مذهب أو طائفة.

والأحكام في التشريع لإسلامي لهما طريقان إما بالنهي وإما بالحمل على النص والنص إما قران وإما سنة وفي هذا يستويان لكونهما وحيا من عند الله جل وعلا ولهذا قال النبي ﷺ (ألا إني أوتيت القران ومثله معه) [1] يعني السنة.

والمقصود من ذلك أن أحكام الشرع يجب طلبها أولا في كتاب الله تعالى فان لم نجد ي الكتاب طلبناها في سنة رسول الله ﷺ يدلنا ذلك جواب معاذ بن جبل رضي الله عنه لما سأله النبي ﷺ حبن بعثه إلى اليمن {بم تحكم } فقال معاذ: بكتاب الله. فقال رسول الله ﷺ: {فان لم تجد} قال بسنة رسول الله ﷺ قال: {فان لم تجد} قال اجتهد رأيي. فضرب رسول الله ﷺ في صدره وقال: {الحمد الله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله} [2] وقول معاذ اجتهد رأيي هو الحل على النص الذي يكون إما بالقياس أو

(١) أخرجه الإمام احمد من حديث المقدام بن معدي كربه ١٣٠/٤، ١٣١، وصححه الحاكم في المستدرك ١٠٨/١، ١٠٩.

(٢) أخرجه الإمام احمد ٢٣٦/٥، ٢٤٢.

الاستصحاب أو الإجماع أو غيرهما من السائل التي يعدها العلماء أدلة شرعية.

واستقلال السنة بأحكام شرعية من غير الكتاب ثابت بأكثر من نص في القرآن والسنة. أما القرآن فقوله تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (١) وقوله عز وجل {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ }(٢) فأثبت الله عز وجل وجوب طاعة المؤمنين لنبيه زيادة على وجوب طاعتهم له سبحانه وتعالى فدلنا ذلك على أن للنبي ﷺ أحكاماً شرعية لم يرد النص عليها في كتاب الله تعالى ووجبت علينا طاعته فيها.

وبعد ما أمر الله عباده المؤمنين بطاعة نبيه ﷺ حذرهم من مخالفة أمره وتوعد المخالفين فقال عز من قائل: {**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**} (٣) ، وأما السنة فمنها قول النبي ﷺ يوشك الرجل متكئاً على أريكته يحدث بحديث فيقول بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما و جدنا فيه من حرام حرمناه ، ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله] (٤).

وأحكام السنة تثبت من المتواتر والآحاد على السواء بلا فرق مالم يتعارض في الدلالة. كذلك يثبت الحكم من سنة النبي ﷺ فعلاً وقولاً وتقريراً بلا فرق أيضاً وقد وقع من هذه الأحكام التي استقلت بها السنة دون الكتاب شيء

(١) الحشر ، (٧).

(٢) النور: ٥٤.

(٣) النور: ٦٣.

(٤) رواه الإمام أحمد من حديث معدي كرب وسبق تخريجه.

كثير في الأطعمة والأنكحة والدماء والميراث وغيرها من أمور الشريعة التي يجب على كل مسلم العمل بها ومن ذلك:

١) تحريم الحمر الأهلية.
٢) تحريم كل ذي ناب ومخلب.
٣) القسامة في الدماء.
٤) تحريم نكاح عمة الزوجة أو خالتها عليها.
٥) رد ما بقي من الميراث إلى أول رجل ذكر.
٦) الأمر بصلاة الوتر وهي لم ترد نصاً في القرآن.

تنبيه:

إن القول باستقلال السنة في الأحكام عن الكتاب لا يتعارض مع قول الله ﷻ: {مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ } [١] ولها مع وصف الله لكتابه: {تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ} [٢].

ذلك أن طاعة النبي ﷺ فيما أمر به أو نهى عنه إنما وجبت بنص كتاب الله تعالى على ما سبق بيانه فكانت الأحكام الواردة في السنة سواء كانت بياناً لأحكام الكتاب أو تفصيلاً لمجمله أو مخصصة لعامة أو مقيدة لمطلقة أو ناسخة أو مؤكدة أو مستقلة كلها من الكتاب الذي بينته السنة وصدق الله {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ } [٣].

(١) الأنعام ٣٨.
(٢) النحل ٨٩.
(٣) النحل ٤٤.

فأحكام السنة من الكتاب باعتبار السنة وحياً وباعتبار أمر الله عباده بطاعة نبيه وهي مستقلة عن الكتاب باعتبار عدم ورود لفظها نصاً فيه. وبهذا يزول الإشكال بين القائلين باستقلال السنة عن الكتاب في الأحكام والمعارضين لهم.

الأمر الثاني: كونها ناسخة للقرآن وللسنة، وهذا مما يؤكد أنها وحي من الله تعالى.

ورد لفظ النسخ في كتاب الله تعالى في موضعين أحدهما في قوله عز وجل: {**مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا**} (١٠٦) سورة البقرة. والثاني في قوله سبحانه: {**إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**} (٢٩) سورة الجاثية.

النسخ لغة:

والنسخ في اللغة له معنيان أحدهما: الإزالة والآخر: الإثبات.(١)

النسخ اصطلاحاً:

للنسخ في اصطلاح الأصوليين تعريفات كثيرة منها ما ذكره البيضاوي أنه (بيان انتهاء حكم شرعي بطريق شرعي متراخ عنه) (٢).

ومعناه أن الله تعالى جعل للحكم الشرعي غاية أو وقتاً محدداً فإذا جاءت هذه الغاية أو حل الوقت المعين انتهى الحكم لذاته.

وعرفه ابن الحاجب بقوله (رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر) (٣).

---

(١) لسان العرب لابن منظور ، دار المعارف ، مادة (نسخ) ٤٤٠٧/٦.

(٢) منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، ط أولى، ١٩٥١م ، ص٦٤.

(٣) مختصر المنتهى لابن الحاجب مع شرح العضد ، المطابع الأميرية الكبرى ، مصر ، ١٣١٧هـ ، ١٨٥/٢.

وهذا يعني رفع تعلق الحكم الشرعي بأفعال المكلفين لا رفع الحكم الشرعي نفسه فإنه أمر واقع والواقع لا يرتفع [1].

ما يستدل به على وجود النسخ:

إذا كان النسخ يعني بيان مدة انتهاء العمل بحكم ما من الأحكام الشرعية أو رفع ذلك الحكم فهذا يعني أن طريق معرفته لا تكون إلا بالنقل المجرد ولهذا النقل صور ذكرها صاحب مختصر الروضة وشارحه بيانها كما يلي:

١) الإجماع على نسخ الحكم ، وهذا مثل الإجماع على نسخ إباحة الخمر بالتحريم.

٢) نقل الراوي. وهذا مثل نسخ إباحة زواج المتعة كما في حديث سلمة بن الأكوع قال [رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم عام أوطاس في المتعة ثلاثاً ثم نهى عنها][2].

٣) دلالة اللفظ. أي أن يصرح لفظ الحديث برفع حكم شرعي أو انتهاء مدته فيكون دليلاً على نسخ ذلك الحكم وهذا كما في حديث بريدة رضي الله عنها حين قال: قال رسول الله ﷺ: [كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فقد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه فزوروها فإنها تذكر الآخرة] [3].

٤) التاريخ. وذلك كأن يذكر الراوي تاريخ أحد الحكمين كأن يقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم كذا سنة خمس أو عام الفتح أو يذكر ما

---

(١) النسخ بين الإثبات والنفي ، دكتور محمد محمود فرغلي ، دار الكتاب الجامعي ، القاهرة ، ص٣٥.

(٢) صحيح مسلم (١٤٠٥).

(٣) أخرجه مسلم (٩٧٧) والترمذي (١٠٥٤) وصححه وغيرها.

يشير إلى التاريخ كقوله هذه الصيغ تدل على أن ما كان قبل التاريخ المذكور منسوخ بما جاء بعده.

٥) ورود خبرين متعارضين عن راويين تأخر أحدهما في الوفاة عن صاحبه، فيكون خبر المتأخر ناسخاً لخبر المتقدم، وذلك لغلبة الظن أن خبر المتأخر جاء بعد وفاة المتقدم ما لم يُعلم يقيناً تاريخ الخبرين[(١)].

٦) والنسخ أمر اختلفت فيه طوائف الأمة بين مثبت ونافٍ ، حتى إن المثبتين أنفسهم اختلفوا فيما يجوز نسخه أو النسخ به ، وما لا يجوز ، وليس هذا موضع بسط الخلاف ولكننا بصدد الحديث عن نسخ الكتاب بالسنة فنقول وبالله التوفيق:

إن من يريد أن يتحدث عن نسخ الكتاب بالسنة لابد له أن يفرق أولاً بين أمرين مهمين:

أحدهما: الكتاب والسنة من حيث لفظيهما:

فألفاظ السنة لا تتساوى وألفاظ الكتاب إعجازاً لأن المتكلم بالقرآن هو الله تبارك وتعالى أما السنة فلفظها للنبي ﷺ ، وإن كان معناها وحياً من الله إلى رسوله.

الثاني: الكتاب والسنة من حيث اشتمالهما على أحكام تكليفيه:

فإنهما من هذا الوجه مستويات إذ أحكام السنة واجبة العمل كأحكام الكتاب تماماً بلا فرق بينهما.

وإذا كان الحديث عن النسخ سواء كان في القرآن أو في السنة لا يتوجه إلا إلى الأحكام الشرعية التكليفية دون غيرها من الأخبار والقصص والإخبار عن ذات الله وصفاته وأسمائه وسائر الأمور العقدية وأنه غير متوجه

(١) انظر شرح مختصر الروضة للإمام نجم الدين الطوفي ، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط أولى، ١٤١٠هـ –١٩٩٠م ٢/٣٤٠–٣٤٥.

إلى اللفظ لذاته جاز لنا القول بنسخ الكتاب بالسنة بتواترها وآحادها الصحيحة الواردة باللفظ الدال على النسخ أو القرينة.

أما نسخ الكتاب بمتواتر السنة فجائز لأمور:

أولها: أنه لا استحالة فيه لذاته أو لأمر خارج عنه فيكون جائزاً.

الثاني: أن متواتر السنة يتساوى مع القرآن من حيث القطع بالثبوت.

الثالث: أن السنة والقرآن كلاهما وحي من الله تعالى.

الرابع: أن نسخ السنة للكتاب متوجه إلى أحكامه لا ألفاظه.

الخامس: تساوي وجوب العمل بأحكام السنة المتواترة ووجوب العمل بأحكام الكتاب.

وقال بجواز نسخ الكتاب بمتواتر السنة الإمام أحمد وأبو الخطاب وبعض الشافعية ومالك والحنفية وابن سريج وأكثر الأشاعرة والمعتزلة وقال القرافي هو جائز عند أكثر أصحابنا واختاره صاحب مختصر الروضة [1].

وقد وقع مثل هذا النسخ في الوصية للوارث حيث كان مقرراً بقول الله تعالى: **{كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين }** [2] ثم نسخ حكم وجوب الوصية للوارث بقول النبي ﷺ [لا وصية لوارث] [3].

---

(١) انظر: مختصر الروضة ٣٢٠/٢-٣٢١ ، وأيضاً: اللمع في أصول الفقه ، أبو الحامد الشيرازي ضمن كتاب تخريج أحاديث اللمع في أصول الفقه ، عبد الله بن محمد الصديقي الغماري ، عالم الكتب ، بيروت ، ط أولى ١٤٠٥هـ -١٩٨٤م ، ص١٧٤.

(٢) البقرة: ١٨٠.

(٣) من حديث أنس بن مالك ، وأبي أمامة الباهلي وعمرو بن خارجة وعبد الله بن عمر وجابر وعلي بن أبي طالب،رواه الإمام أحمد ٢٦٧/٥ ، وكثير من أصحاب السنن والمسانيد.

أما نسخ الكتاب بآحاد السنة فهو جائز كالمتواتر وذلك لأن خبر الآحاد باعتباره يفيد الظن يوجب العمل والاستدلال وخبر الكتاب إذا أفاد ظناً وجب العمل به والاستدلال أيضاً فاستوى خبر الآحاد مع الكتاب إذا أفادا ظناً وبهذا الاعتبار يتوجه النسخ بخبر الآحاد إلى نصوص الكتاب التي أفادت الظن لا القطع.

ولقد وقع مثل هذا النسخ كثيراً في زمن النبي ﷺ وبعده ومثل هذا النوع في قوله ﷻ: {**قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**} (١).

فإن هذه الآية نسخت بنهي النبي ﷺ عن أكل كل ذي ناب(٢) وهي خبر واحد ومنه قول الله تعالى بعد ذكر أنواع المحرمات من النساء { وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاء ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ } (٣)

نسخ بقوله عليه السلام: [لا تنكح المرأة على عمتها ولا خالتها] (٤).

وبناء على ما سبق يتضح أن نسخ الكتاب بالسنة متواترها وآحادها جائز عقلاً وقد وقع شرعاً ، ذلك أن بين نصوص الكتاب ومتواتر السنة وآحادها قدراً مشتركاً من الظن وهو الذي يتوجه إليه النسخ،ومن خلال ما سبق يظهر لنا جليا أن الأمة تلقت السنة بالقبول واعترفت بكونها تستقل بالأحكام وتنسخ حكما سابقا بالقران أو السنة وهذا يؤكد أنها وحي من الله تعالى ولا التفات للمخالف لأن إجماع الأمة هو السبيل إلى ماذهبنا إليه حيث

(١) الأنعام: ١٤٥.

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٣٠) ومسلم (١٩٣٢) من حديث أبي ثعلبة الخسني.

(٣) النساء: ٢٤

(٤) رواه البخاري ج ٥ ص ١٩٦٥ رقم (٤٨٢٠) ومسلم ج ٢ ص ١٠٢٩ رقم (١٤٠٨).

أنها لاتجتمع على ضلالة لحديث ابن عمر مرفوعا: (لا تجتمع هذه الأمة على ضلال أبدا) قال الحافظ [1]: ويمكن الإستدلال له بحديث معوية رضي الله عنه مرفوعا: (لايزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لايضرهم من خذلهم ولامن خالفهم حتى يأتي أمر الله) [2].

وبهذا نختم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) في تلخيص الحبير ج٣ ص١٤١.فيه سليمان بن شعبان المدني وهو ضعيف. بعد عزوه للترمذي، والحاكم.

(٢) رواه البخاري ج ٥ ص ١٩٦٥ رقم (٤٨٢٠).رواه البخاري في صحيحه ج٣ ص١٣٣١ رقم (٣٤٤٢) ومسلم في صحيحه ج٣ ص ١٥٢٣ رقم (١٠٣٧).

الخـــــــاتمة:

إن الذي تقدم يدل دلالـة صـريحة واضـحة علـى أن السـنة النبويـة الشـريفة ليست من صنع وواقـع البشـر، إنمـا هـي وحـي أوحـاه الله تعـالى إلى الـنبي المصطفى ﷺ:

- إن القرآن الكريم بآياته المتعددة دل على أن مـا ينطـق بـه رسـول الله ﷺ هو وحي، لأنه لا قدرة للإنسـان علـى القـول بمـا خفـي ويخفـى عليه.
- كما أن النصوص من السنة النبوية تدل على أن ما قاله ﷺ ونطق بـه ليس من اجتهاد البشر، لأنه يستحيل ذلك ولا قدرة للإنسان بـذلك، فهو فوق قدرتهم ولا طاقة للبشر بذلك مطلقاً، بل جملة وتفصيلاً.
- كما أن الدلائل النبوية الشريفة، سواء مـا أخـبر بـه ﷺ عـن الماضـي الغابر، أو الغيب المستقبلي البعيـد، أو مـا نطـق بـه ممـا هـو متعلـق بالموجودات في زمانه ﷺ وتحقـق بعـد عصـره صـلى الله عليـه وسـلم جميع ذلك يدل دلالة قاطعة مما لا تقبـل الشـك أن مـا نطـق بـه ﷺ ليس مـن اجتهـاد البشـر ولا مـن صـنعه ولا عقلـه، إنمـا هـي وحـي الرباني.
- إذا علمنا إلى ذلك العدد الكبير من الأحاديث التي قالها ﷺ قبـل مـا يزيد عن أكثر من ألف عام وهي تتحقق بعد عصره عليه السلام، كـل ذلـك يدل على أن ما نطق به ليس من اجتهاد البشر قطعاً، ولا للعقل فيـه مجال، إنما هو الوحي الإلهي الرباني.
- إن هذا العدد الكبير من الأحاديث التي قالها عليه السلام منذ أكثر من ألف عام وهي تتحقق في هذا الزمان في عصر العلـم والاختراعـات إن ذلـك لأدل دليل أن ما قاله ونطق به ﷺ ليس من اجتهاد البشر، ولا دخل

لعقل الإنسان فيه، إنما هو الوحي الرباني ولا مجال للإنسان فيه، ومن هنا يتضح أن السنة النبوية وحي، وهذا مما امتاز به عليه السلام عن سائر الأنبياء عليهم السلام، مع اختلاف الوحيين، فهو وحي غير متلو ولا متعبد بتلاوته، بخلاف وحي القرآن الكريم.

قائمة المراجع:

١) الأساس في التفسير / لسعيد حوي ط / دار السلام، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥م.
٢) الاستيعاب في معرفة الصحابة، لابن عبد البر، ط/ مطبعة الفجالة، القاهرة، ١٩٦٨م.
٣) الإصابة في صحة حديث الذبابة / لخليل إبراهيم ملا خاطر، ط/ دار القبلة.
٤) الاعتقاد / للبيهقي ط / دار النشر، دار الكتب العلمية.
٥) البداية والنهاية / لابن كثير، ط/ مطبعة الفجالة القاهرة.
٦) تاريخ الإسلام / للذهبي ط / مكتبة القدس القاهرة.
٧) تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف / للمزي، ط/ طبعة جمعية المكتبة السعيدية، بحيدر أباد، الهند، نشر الدار القيمة، بممباي.
٨) تفسير مفاتيح الغيب (الفخر الرازي) ط / البهية المصرية.
٩) تفسير المنار / لمحمد رشيد رضا، ط / دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
١٠) تنوير الأذهان في تفسير روح البيان، لإسماعيل حقي البروسويَ، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، ط/ دار القلم، دمشق.
١١) جامع الأصول في أحاديث الرسول / لابن الأثير، بتحقيق عبد القادر الأرناءوط، ط/ الملاح، ١٣٩٠ هـ، ١٩٧٠م.
١٢) الحديث والمحدثون، لمحمد محمد أبو زهرة، ط ١، ١٩٧٨ م، بمصر.
١٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصفهاني، ط / دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

١٤) خلق الإنسان بين الطب والقرآن / لمحمد علي البار، ط / جدة.
١٥) دلائل النبوة / للبيهقي، ط، دار النشر، دار الكتب العلمية.
١٦) دورة الأرحام، د محمد علي البار، جدة.
١٧) السنة لابن أبي عاصم، ت د باسم الجوابرة.
١٨) سبل السلام / للصنعاني، ط / مصطفى الحلبي وأولاده بمصر.
١٩) الرسالة للإمام الشافعي، ت الشيخ أحمد شاكر، القاهرة.
٢٠) سنن الترمذي / ت الشيخ أحمد شاكر وآخرين، بيروت.
٢١) سنن أبي داود، ت الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد.
٢٢) سنن ابن ماجة / ت الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة.
٢٣) سنن الدرامي / نشر السيد عبد الله هاشم اليماني، المدينة المنورة.
٢٤) سنن الدارقطني / نشر السيد عبد الله هاشم اليماني، المدينة المنورة.
٢٥) سنن النسائي / بحاشية السيوطي والسند.
٢٦) السنة قبل التدوين / د محمد عجاج الخطيب، ط / دار الفكر، ١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ م.
٢٧) السنن الكبرى للبيهقي / ط. دائرة المعارف العثمانية، الهند.
٢٨) السنن الكبرى للنسائي / ط. ت د عبد الغفار، وسيد، بيروت.
٢٩) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي / مصطفى السباعي، ط. المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق.
٣٠) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة / محمد محمد أبو شهبه ط. دار القلم، دمشق.
٣١) شرح السنة للبغوي / ط، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.
٣٢) شرح معاني الآثار للطحاوي، ت محمد زهري النجار.
٣٣) الشريعة للإمام الآجري، ت. الدكتور عبد الله الدميجي.

٣٤) شفاء العليل لإبن قيم الجوزية.
٣٥) الشمائل لابن كثير.
٣٦) صحيح ابن حبان / ت. الشيخ شعيب أرنؤوط مؤسسة الرسالة.
٣٧) صحيح ابن خزيمة / ت. د. مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي.
٣٨) صحيح البخاري (فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط / رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.
٣٩) صحيح مسلم للإمام القشيري النيسابوري / تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ط / رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة بالمملكة، ١٤٠٠ هـ.
٤٠) الطب النبوي والعلم الحديث / د. محمود ناظم نسيمي، الشركة المتحدة.
٤١) العقم والأمراض التناسلية، وضع مجموعة من الأطباء العرب والعالميين، إعداد محمد رفعت ط / دار الحضارة للطباعة والنشر.
٤٢) عمدة القارئ للعيني، ط / إدارة الطباعة المنيرة، دمشق.
٤٣) كشف الأستار في مسند البزار (بزوائد البزار) ت / حبيب الرحمن الأعظمي.
٤٤) لسان العرب لابن منظور ط / دار صادر، ودار بيروت.
٤٥) مجلة الإعجاز العلمي (العدد الرابع).
٤٦) محاضرات في علوم الحديث، مصطفى أمين التازي، ط / مطعبة دار التأليف، مصر، ١٣٩١ هـ، ١٩٧١ م.
٤٧) مختار الصحاح للرازي، ط / مكتبة لبنان، ١٩٨٦ م.

٤٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، ط / مؤسسة دار العلوم، الدوحة، قطر، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ.
٤٩) مجمع الزوائد للهيثمي، ط /دار الكتب العربية – بيروت – لبنان.
٥٠) المصباح المنير في غريب شرح الكبير، ط / موقع الإسلام.
٥١) المستدرك للحاكم النيسابوري، ط / دار الفكر – بيروت – لبنان.
٥٢) مسند أبي يعلى، ت – حسين سليم أسد، ط / دار المأمون – دمشق.
٥٣) مسند الأمام احمد، ط / المكتب الإسلامي.
٥٤) مصنف ابن أبي شيبة، ط / نشر الدار السلفية، الهند.
٥٥) مصنف عبد الرزاق، ت / حبيب الرحمن الأعظمي،ط / بيروت.
٥٦) معالم السنن للخطابي، ط / منشورات المكتبة العلمية – بيروت – لبنان..
٥٧) مع الطب في القران الكريم، د/عبد الحميد دياب، ود/ احمد قرقوز.
٥٨) المعجم الكبير للطبراني، ت / الشيخ حمدي السلفي ط / بغداد.
٥٩) مغازي للوا قدي، ط / مصدر الكتاب – موقع الإسلام.
٦٠) الوجيز في علم الأجنة القرآني، د/ محمد علي البار – جده.
٦١) الموطأ للإمام مالك، ت / محمد فؤاد عبد الباقي، ط / القاهرة.
٦٢) الموفقات في أصول الشريعة لأبي القاسم الشاطبي، ط / دار المعرفة – بيروت – ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.
٦٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبن الأثير الجزري، ط / دار الفكر ١٣٩٩ هـ.

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــوع	الصفحة
المقدمة	١٥
الدليل من القرآن على أن السنة وحى	١٧
ومن الأدلة القرآنية على أن السنة وحى	٢١
الدليل من السنة النبوية على أن السنة وحى	٢٣
ومما يثبت أن السنة وحى	٢٥
ومن الأدلة التى ساقها العلماء على أن السنة وحى كالقرآن	٢٦
ومن الأدلة على أن السنة وحى	٢٧
ومن الأدلة الواضحة على أن السنة وحى	٢٨
ومن أوضح الأدلة على أن السنة وحى	٢٨
خباره ﷺ عن الغيبيات وتحقق وقوعها	٣١
سراقة يلبس سواري كسرى	٣١
فتح بلاد كسرى وهرقل واليمن	٣٢
المسلمون يركبون البحر للفتح	٣٤
ومن الفتوح التى أخبر بوقوعها وتحققت فتح القسطنطينية	٣٦
ومما أخبر عنه النبى ﷺ وتحقق ((افتراق الأمة))	٣٦
ومما أخبر بوقوعه من الغيبيات خروج متنبئين كذابين	٣٨
نعى أمراء مؤتة الثلاثة قبل وصول خبرهم إلى المدينة	٤٠
كشف خبر الخطاب السر الذي أرسله حاطب إلى قريش	٤١
استحلال الزنا والخمر والمعازف	٤٢
أرض العرب تعود كما كانت مروجا وأنهارا	٤٤
ليس من كل الماء يكون الولد	٤٦
إثبات ماء الرجل وماء المرأة	٤٧

الموضـــــــــــوع	الصفحة
استقرار النطفة الأمشاج فى الرحم	٤٩
اختراق الأسوار لتصوير الجنين، وحصول التشوه	٥٠
الكتابة على جبهة الجنين	٥٤
فى جسم الإنسان (٣٦٠) مفصلا	٥٥
ما جاء فى الطاعون من معجزة وحى السنة	٥٦
يحمل الكلب الكثير من الأمراض المعدية	٥٨
الذباب يحمل الجراثيم ومبيداتها	٦٠
الجسد يبلى ما عدا عجب الذنب	٦٢
بعض الأحاديث التى تدل على إطلاعه ﷺ على الغيبيات	٦٣
الأحاديث التى تتحدث عن الأنبياء السابقين عليهم السلام	٦٥
ما جاء عن الأنبياء عليهم السلام من غير تسميه لواحد منهم	٦٦
الإخبار عن الأمم السابقة	٦٦
إخباره ﷺ عن الكائنات المستقبلة	٦٧
يجوز أن تستقل السنة بأحكام خاصة عن الكتاب	٧٠
مايستدل به على وجود النسخ	٧٥
الخاتمة	٨٠
قائمة المراجع	٨٢
فهرس الموضوعات	٨٦

۞۞۞